١٠٥٩
دار م. النحاس

عبير

1059
HARLEQUIN

في شرك الحب

ميراندا لي

liilas.com/vb3

نور

في شرك الحب

ميراندا لي

تتعرف معلمة مدرسة ريفية إلى كاتب شهير، فيغرمان ببعضهما ويعيشان حياة سعيدة هانئة.

هذا لا يحدث إلا في القصص الخيالية، وهاريت وينرسبون تابى أن تصدق ذلك مذ رحل خطيبها غراهام مع شقيقتها أماندا. حتى وإن كان براد بارينغتون، الكاتب الشهير والذائع الصيت في اوستراليا، جارها، يؤدي دورالرجل الفاتن على غرار أبطال رواياته.

لكن، إلى متى ستظل هاريت قادرة على مقاومته ؟

مكتبة الوليد

«سوف تكونين صعبة المنال، أليس كذلك؟»

liilas.com/vb3

تفحص براد نظرتها المشككة وتابع قائلاً: «صعبة المنال وعنيدة. لكن لا بأس، إني معجب بك لأنك تتحلين بهاتين الصفتين.»

تنهدت وقالت:

«لست متأكدة من أنني على علم بما تقوله الآن يا براد.»

«سوف تعلمين في الوقت المناسب يا هاريت.»

ضحكت ضحكة ملؤها التشنج وقالت: «تتكلم وكأن ذلك سيستغرق الوقت برمته.»

«أجل، بالطبع. أرى أنه من البديهي أن نستمر في التحدث عن شخصيتك قبل أن أحقق ما أريد.»

لتنبه ألا تباع هذه الرواية من غير غلاف لأنها قد تكون مسروقة، فيجب إبلاغ الناشرين لأن الكتاب الذي لم يبع، يجب إتلافه، فأي من الكاتبة أو الناشرين لم يتقاضوا ثمناً لهذه النسخة المسروقة.

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية:

SCANDALOUS SEDUCTION

Copyright © by Miranda Lee 1993

ISBN 0-373-11589-X

Mills & Boon first edition October 1993

الطبعة العربية الاولى عن مؤسسة النحاس ١٩٩٥

lilas.com/vb

عنوان الطبعة العربية

في شرك الحب بقلم ميراندا لي

ترجمة: ألين الحاج

سلسلة عبير ١٠٥٩

نور

حقوق النشر باللغة العربية محفوظة ومحصورة في جميع البلدان لمؤسسة النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات - بيروت (دار م. النحاس) بترخيص من هارلكوين انتربرايزس ليمتد (Harlequin Enterprises Limited).
جميع الحقوق محفوظة. باستثناء استعماله في أي مرجعية، يمنع استنساخ هذا الكتاب أو استعماله كلياً أو جزئياً بأي شكل وبأي جهاز من الأجهزة الالكترونية أو الميكانيكية أو الوسائل الأخرى، المعروفة الآن أو التي يتم في ما بعد اختراعها، بما في ذلك الوسائل الزيروغرافية والتصوير والتسجيل أو تخزين أي معلومات منها أو استعادتها بأي جهاز من الأجهزة، من دون الحصول على إذن من الناشر.
كل شخصيات هذا الكتاب ليس لها وجود خارج خيال الكاتبة، وليس لها أية علاقة بأي شخص قد يصدف ويتشابه اسمه مع أحد الأسماء في الكتاب ولا تستند شخصيات الكتاب، أو الأسماء التي تحملها إلى أية شخصية تعرفها، أو لا تعرفها الكاتبة، بل كل أحداث الرواية هي من نسج الخيال الصرف.

العنوان: مؤسسة النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات. بيروت. لبنان شارع فردان بناية رضوان الطابق التاسع. ص.ب: ١١/٩٧١٨ - فاكس ٨٦٦٤٩٩ - هاتف: ٨٦٦٤٩٨ - ٨٦٥٣٧١ - سجل تجاري: ٧٥١٠ - بيروت. تسجيل العلامات التجارية في وزارة الاقتصاد دار م. النحاس للنشر ٥٩٤٣٩

الفصل الأول

رفعت هاريت ناظريها وحدقت إلى والدتها.

«من؟»

أما جوليا ويذرسبون، فرفعت أهدابها الطويلة المنثنية وقالت:

«يا لحسن الحظ لقد استطعت أن اصرف انتباهك عن تلك الكتب التي لا تنفكين تطالعينها!»

«أنا آسفة.»

أغلقت هاريت الكتاب البالي وابتسمت ابتسامة ملاطفة. وقالت:

«هيا، لا تثيري غيظي. هل أصبت أم اخطأت حينما ظننت أنك ذكرت اسم براد بارينغتون؟»

تنهدت والدتها ثم أجابتها:

«لا أظن أنك سمعت أكثر من هاتين اللفظتين، أليس كذلك؟»

«أمي!»

«حسناً، حسناً، لقد ذكرت اسم براد بارينغتون، نعم، وأنا أعني الكاتب المشهور. اشك في أن يكون الرجال المدعوون براد بارينغتون كثر في أوستراليا.»

سألتها هاريت بنبرة ملحة:

«وماذا عنه؟»

نظرت إليها والدتها نظرة ملؤها اللوم وقالت:

liilas.com

«أنت لم تصغي إليّ قط. أنت تبالغين حقاً في بعض الأحيان يا هاريت. هناك أمور أخرى في الحياة أهم من المطالعة. لقد تحدثت إليك خلال عشر دقائق على الأقل لأخبرك كيف اتضح لنا أن الشاري المجهول الذي ابتاع من والدك ذاك الموقع الرديء في (جبل الضباب) لم يكن سوى الكاتب الشهير المذكور.»

«حسناً، هذا خبر رائع يا أمي، إلا أنه لا يثير الدهشة. ليست هذه المرة الأولى التي يشتري فيها مليونير قطعة أرض محاذية لتلك التلال.»

«أجل، لكنه سوف يعيش هناك!»

جحظت عينا هاريت العسليتان الكبيرتان، وقالت:

«يعيش هناك!»

«يبدو أنه انتقل أمس إلى ذاك الموقع. فقد اتصل بي ريموند منذ بعض الوقت ليبلغني أن السيد بارينغتون أتى فجأة إلى مكتبه ليخبره كم يسره المكوث هناك، وتعرفين والدك، فهو ما لبث أن دعاه إلى العشاء هذه الليلة. هذا ما كنت أقوله لك منذ برهة.»

طرفت هاريت بعينيها ثم قالت:

«هل دعا أبي براد بارينغتون إلى العشاء حقاً؟ هذا المساء؟»

ثم ابتلعت ريقها وأردفت قائلة:

«وهل سيأتي؟»

«أجل.»

اتسمت على وجه جوليا الجميل امارات الرقة واللطف، كما لو كان بديهياً بالنسبة إليها أن تستضيف اشخاصاً

أثرياء، وذائعي الصيت، فهي مضيفة ممتازة، طالما أثنى الناس على مآدب العشاء التي كانت تقيمها، حتى أن هاريت نفسها رأت أن هذه الدعوة ستكون مفخرة تضاف إلى المفاخر التي تعتد بها والدتها.

براد بارينغتون... اسم يجعل قلب هاريت يخفق طرباً. كانت قد شاهدته على التلفزيون خلال مقابلة أجريت معه مؤخراً حول روايته الجديدة، وفيما لم يسعها استذكار العنوان، تمكنت هاريت من تذكر ردة فعلها العفوية إزاء الكاتب، فرأت نفسها مجدداً وهي مسمرة في كرسيها، تنظر إليه باعجاب متزايد فيما راح يتجادل مع المذيعة التي كانت تحاوره.

lilas.com/vb3 نور

لم تكن هاريت معجبة بوسامته ولا بالجاذبية التي كانت تتجلى عبر ملامحه، بل إن فكره هو الذي استرعى انتباهها، فجذبها سرعة خاطره، في الكلام، وعدم تكلفه في الإجابة عن الأسئلة المطروحة عليه.

إلا أنه كان مفعماً بالجاذبية والفتنة، فخفف سحر ابتساماته من وطأة أجوبته الصريحة التي كان يتفوه بها بنبرة فظة ولاذعة. فحينما تجرأت المذيعة وسألته لِمَ لا يعرض أديب بمنزلته عن تأليف الروايات المثيرة والتافهة وينصرف إلى صياغة مؤلفات قيمة؟ رفع براد بارينغتون أحد حاجبيه بتكبر، ثم ابتسم ابتسامة جافة وأجاب: «يا سيدتي العزيزة، لقد أمضيت عشر سنوات وأنا أكتب روايات تحتوي على مدلولات فكرية، ولا تزال الأوراق مرمية في الدرج لأن ما من ناشر وافق على نشرها. لذا، قد يجوع الكاتب إن استمر في تأليف روايات غير قابلة للنشر،

فباشرت الآن كتابة ما يرغب الناس في قراءته. هل تعلمين كم يشق عليّ أن أكتب ما يرغب فيه الناس؟ إنه لأمر في غاية الصعوبة.»

ثم أنهى كلامه وهو يبتسم ابتسامة عريضة: «لكنه أمر مربح.»

إنه لأمر مربح بالتأكيد! كان براد بارينغتون قد أقر بأنه تسلم مليوني دولار لقاء منحه شبكة التلفزيون الحق في اقتباس رواية له عنوانها «الخيال»، وها هو الآن في صدد التفاوض للحصول على مبلغ أكبر قيمة مقابل منحه حق اقتباس رواية أخرى بعنوان «الفساد» فراحت هاريت تتساءل كيف ستستحيل الأسطر التي نسجها خياله مشاهد حية وواقعية! لكنها، والحق يقال، كانت تشاطر رأي المذيعة، فمن العار ألا يؤلف كاتب مثله يملك المهارة الأدبية رواية عميقة المغزى، تحمل مدلولاً واسع النطاق. لم تكن تشك في أنه من الصعب تأليف الروايات المثيرة التي ينصرف إلى كتابتها اليوم، وقد استمتعت بقراءتها في لحظات الهروب من الواقع واللجوء إلى الخيال، لكنها لم تكن لتتصوّر أن أحداً يستطيع أن يقرأ رواياته اكثر من مرة، أو أن يدرسها. حقاً، إن براد بارينغتون ألحق العار بموهبته الأدبية من أجل المال، وهذا أمر غير جدير بالثناء.

إلا أن هذا الرجل أثار اهتمامها، فبقيت صورته منطبعة في ذهنها طوال الأيام التالية. وها هو الآن على وشك أن يأتي إلى هنا... إلى منزلها... للعشاء... هذه الليلة.

وأردفت والدتها قائلة بحذر...

«كنت أفكر في أنكما قد تنسجمان معاً، أنت والسيد بارينغتون، أعني...»

وكأنما صفارة إنذار شرعت تقرع في ذهن هاريت حينما سمعت هذا الكلام، فرمقت والدتها بنظرة من أدرك أن شغل جوليا ويذرسبون الشاغل كان إيجاد عريس لابنتها الكبرى.

شعرت هاريت بألم في معدتها، فتمنت لو تتركها أمها لوحدها، هذا لم يكن يعني أنها لا تبالي بأمر الزواج، لأن هذا الأمر يهمها فعلاً، فقد تمنت من استعادة رباطة جأشها بعد الضربة القاضية التي أسداها إليها أماندا وغراهام، فمن المستحيل أن تظل أسيرة الحزن بعد مرور أربع سنوات على رحيل خطيبها مع أختها الصغرى. لكن، أليس في إمكان والدتها أن ترى أن المشكلة تكمن في أمر خارج عن إرادتها؟ فالحقيقة أن هاريت لم تكن من النوع الذي يجذب الرجال، فقالت لأمها بلهجة صارمة:

«آمل ألا تكوني تظنين جدياً أن رجلاً مثل براد بارينغتون قد يبدي اهتماماً بي.»

أجابتها جوليا بلهجة الثائر على كلام خاطىء:

«ولمَ لا؟ إنك فتاة جذابة وفاتنة.»

تنهدت هاريت لدى سماعها كلام أمها. جذابة وفاتنة؟ هل تغالي الأمهات جميعهن في مدح صفات بناتهن؟ فشرعت تشرح لوالدتها بهدوء وهي على يقين من أن هذه الأخيرة لن تتمكن من دحض المبرر الذي ستقدمه لها:

«إن لدى براد بارينغتون صديقة تدعى ليديا ريتشموند وهي مذيعة أخبار في التلفزيون، وعلاقتهما هي من أبرز

lilas.com/vb3 نور

المواضيع التي تتناقلها الصحف والمجلات منذ فترة طويلة.»

ردت عليها جوليا قائلة:

«تلك المرأة؟ إنها لا تشكل أي عائق، فقد أخبر السيد بارينغتون والدك بانه قطع علاقته بها نهائياً.»

هزت هاريت رأسها متسائلة عن حقيقة الأمر، إلا أنها لم تكن تشك في أن الناس كانوا يخبرون والدها بكل شاردة وواردة، فكان يتعامل مع زبائنه بطريقة تحثهم على أن يسروا إليه بأخبارهم. لذا، كان القاطنون في الجوار يقولون إن هاريت ورثت عن أبيها الذكاء وموهبة الكلام، وإن أماندا ورثت عن أمها الحسن والجمال. وكانت هاريت تشعر أحياناً بأنها الأوفر حظاً، لكن هذا الشعور هجرها كلياً هذه الليلة. وأردفت والدتها تقول:

«أنا أعلم ما تفكرين به الآن. إنك تتذمرين من تدخل والدك مجدداً في هذا الموضوع، وأنت على حق. إلا أن السيد بارينغتون يبدو العريس الأنسب لك، فمن الواضح أنه بدأ يسأم الحياة العابثة التي يعيشها، ولا شك في أنه يرغب في أن يعيش حياة هادئة هانئة بالقرب من امرأة تقدر عمله وتفهمه، امرأة مثلك...»

راحت هاريت تحتج قائلة: «إن رجلاً عازباً بلغ السادسة والثلاثين من العمر لم يكن ليتخلى عن عزوبيته...»

فرمقتها أمها وأجابتها: «لست صغيرة يا عزيزتي، فأنت في السادسة والعشرين من العمر، لكنني أعلم يا حبيبتي أنك مازلت ترغبين في الزواج، وأعلم أيضاً أنك لا تودين الزواج برجل عجوز. فلنواجه الحقيقة الآن يا

هاريت. كم من مرة سيأتي رجل مهذب وجذاب ومثقف وثري وعازب ويمكث في الجوار؟ صحيح أن فاليزإند لا تقع في آخر الأرض، لكن...»

انقطعت الوالدة عن الكلام، لكن صمتها كان معبراً.

كان على هاريت أن تسلم جدلاً بأن البلدة التي تقطنها والقابعة في وادٍ تعلوه أنجدة نيو ساوث ويلز الشمالية لم تكن موقعاً جذاباً على الرغم من أن المسافة التي تفصلها عن الساحل قريبة نسبياً، ومن أن ازدهار السياحة ساهم في تنشيط الحركة التجارية وتعزيز الصناعة المحلية خلال الأشهر المنصرمة فقد تم بيع عدد كبير من قطع الأرض الشاسعة خلال فترة وجيزة، فأمل سكان البلدة أن تكون لدى المتملكين الأثرياء النية في بناء الفنادق والملاهي الفخمة التي من شأنها أن تمد بلدتهم ببعض المال، تلك البلدة التي كانت تستثمر سهولها في الماضي لزراعة قصب السكر والموز، إلا أن انهيار اسعار هاتين السلعتين قضى على الحركة الاقتصادية التي كانت مزدهرة آنذاك.

غير أن اولئك المتمكنين الأثرياء لم يباشروا بوضع أي مشروع مماثل، فغدا واضحاً أنهم اشتروا تلك الممتلكات على أنها استثمار طويل الأمد، إلا في ما يتعلق بجبل الضباب وببراد بارينغتون!

عقدت هاريت حاجبيها. لم يكن براد بارينغتون ليشتري ذاك الجبل المنعزل والنائي كي يمكث فيه، فقد صرح في مقابلته التلفزيونية بانه يستمتع بالعيش في المدينة وبكتابة رواياته في شقته الكائنة في كينغز كروس في سيدني، حيث يسعه أن يستقي أفكاراً جديدة ومتنوعة، كما أعلن أنه

يرفض الإنعزال في بيت صغير رفضاً قاطعاً لأنه في حاجة إلى رؤية الناس من كل الأعراق والأجناس وسط الصخب والضجيج كي يستوحي أفكار رواياته. ما الذي حمله على تغيير رأيه؟ ربما كان انفصاله عن ليديا ريتشموند هو السبب.

قالت هاريت:

«وماذا إن لم أعجب به؟»

جحظت عينا أمها الزرقاوان الجميلتان دهشاً:

«سوف تعجبين به حتماً. فكيف لا تعجبين برجل في غاية الثراء والذكاء؟ بالإضافة إلى ذلك، إنكما متشابهان إلى حد بعيد، فأنتما كاتبان.»

راحت هاريت تفكر في النص المسرحي الذي كانت تعمل على كتابته منذ عدة سنوات، فضحكت ضحكة ساخرة وقالت:

«أنا لست كاتبة يا أمي. أنا مجرد معلمة تدّرس اللغة الانكليزية في المدرسة الثانوية وتهوى الكتابة.»

«إن عدم نشرك مؤلفاتك لا يعني أنك لست كاتبة، فإن أسلوبك رائع.»

ابتسمت هاريت وهي تعلم أنه لا جدوى من أن تقول لأمها إن اعمالها جميعها التي ألفتها حتى الآن لم تكن سوى وقت ضائع، إذ إن هذه الأخيرة لم تفهم كلمة هواية حق الفهم، فأصرت عليها هاريت قائلة:

«عديني بأنك لن تتفوهي بكلمات محرجة أمام السيد بارينغتون هذه الليلة.»

رفعت جوليا حاجبيها وقالت:

«أنا؟ أنا أتفوه بكلمات محرجة؟ عليك أنت أن تمسكي عن أية زلة لسان يا صغيرتي، فإنك تنطقين أحياناً بكلمات غير لبقة إطلاقاً.»

لم تخفِ هاريت دهشتها لدى سماعها ما قالته أمها التي أردفت:

«أنا لا أرغب في أن أكون قاسية معك، لكن ألا تذكرين يوم دعوت ابن أخ السيدة غلاغيرز إلى العشاء؟ فأوضحت له أنك تعلمين بأنه لم يعد إلى فاليزاإند، إلا لأنه ظن أن المرأة العجوز على فراش الموت ولأنه أراد أن يؤمن على إرثه. يا للرجل المسكين! لم يعد يعرف إلى أين يوجه بصره! أنا لا أستغرب عدم اتصاله بنا مجدداً.»

«لكن يا أمي إنه لم يأت لزيارة تلك العجوز اللطيفة منذ سنوات! هل يسعك أن تقولي لي أين اختفى حينما خضعت لعملية في وركها؟»

«ليس الناس برمتهم كاملين يا هاريت! وقليلات هن الفتيات اللواتي لا يرضين بشيء مثلك!»

احمرت وجنتا جوليا حينما أدركت أن كلامها هذا قد يكون مناقضاً لما قالته لابنتها منذ قليل وللإطراء الذي وجهته إليها، فصاحت قائلة:

«أوه! أنظري إلى الساعة. عليّ أن احضر اللحم المشوي.»

انتصبت وسارت بسرعة نحو المطبخ، ثم نادت ابنتها وقالت لها:

«إلبسي ثوباً أنيقاً ومميزاً هذه الليلة، أريد أن يراك السيد بارينغتون وأنت في أبهى حلتك.»

lilas.com/vb3 نور

نظرت هاريت إلى أمها بسخط وقالت في نفسها وهي مكتئبة: إن أبهى حللي لن تجذب زائرنا الشهير يا أمي العزيزة.ثم ضحكت ضحكة عالية وهي تتساءل: ما الهم إن أعجب بها براد بارينغتون أو لم يعجب بها؟ ترى، هل بدأت تتأثر بكلام أمها؟ على أية حال، الزواج ليس البداية ولا النهاية! إن هاريت سعيدة في حياتها في الوقت الحاضر. كانت قد قدمت من سيدني لتعيش في بلدتها الأم خلال هذه السنة. كانت ترغب حقاً في أن تعلم في مدرسة ثانوية ريفية بعد ما بذلته من جهد مضن مع تلامذة المدينة... أجل، إنها سعيدة الآن في حياتها.

إلا أن هاريت عادت إلى غرفتها وانصرفت إلى تحضير نفسها أحسن تحضير إذ انه حري بها أن تبذل هذا الجهد الجهيد.

وقفت هاريت أمام المرآة لتلقي على نفسها النظرة الأخيرة، فرأت أنها كانت تبدو بمظهر لا بأس به، مظهراً خاصاً بها يميزها عن سائر الفتيات، فوضعت جانباً الأثواب المزدانة بالكشكش التي كانت تختارها لها أمها وملأت خزانتها بثياب أنيقة تضفي رونقاً على قامتها الطويلة والنحيلة وعلى وجهها الصبياني الملامح.

وكانت قد بدلت تسريحة شعرها تبديلاً جذرياً، فقصت تلك الخصل الملساء التي كانت تأبى أية محاولة للتجعيد والتي كانت تنسدل كالخيوط حتى نصف ظهرها. قصة تلائم شكل وجهها وتخفف من حدة ذقنها، وكان أشهر مصفف للشعر في سيدني هو الذي نفذ هذه التسريحة الأعجوبية، وهو الذي عرض عليها أن يزين جبينها العالي بخصلة قصيرة. إلا أن

ما من شيء خفف من حدة وجهها الرفيع، فكانت عظمتا وجنتيها ناتئتين، وعيناها واسعتين. إلا أن هاريت أقرت بأن الخصلة القصيرة التي تعلو جبينها كانت تضفي على تينك العينين ظلاً قد يراه رجل رومنطيقي غريباً.

رجل رومنطيقي...

كانت هاريت تقول لنفسها إن ما من أحد سيلاحظ ذلك. لقد علمتها الحياة أن تكون صادقة مع نفسها، فلم ترَ وهي تنظر إلى المرآة سوى فتاة شابة بها بعض الجاذبية، فتاة لم تكن تستقطب الرجال على أي صعيد إلا على صعيد الحب العذري، وغالباً ما كان الأمر كذلك. ففي المدرسة لم يكن لديها صديق، أما في الجامعة، فلم يكن الطلاب يأتون إليها سوى للتحدث إليها أو للدرس معها، فكانوا معجبين بعقلها وليس بشكلها. إلا أنها كانت فتاة طبيعية، تفكر في الحب.

لما بلغت الثانية والعشرين من العمر وفيما كانت تعد رسالة في علم التربية، شرعت تفكر بانه لن يكون لها أبداً صديق، وبأنها لن تذوق أبداً طعم الحب. وإذ بغراهام يظهر في حياتها.

كان غراهام يعد دكتوراه في الأدب ويشرف على إعداد رسالتها، وكان وسيماً بهي الطلعة، قد أوقع الطالبات جميعهن في غرامه.

وكانت هاريت الأولى في صفها، فاستقطبته أولاً من الناحية الثقافية، ثم اعتادا تناول القهوة معاً بعد المحاضرات، والخروج لمشاهدة الأفلام حينما تسنح لهما الفرصة. وبعد مرور عدة اسابيع أغرمت هاريت به غراماً شديداً لا رجوع عنه.

lilas.com/vb3
نور

أما الآن فهي مندهشة لأن يكون غراهام قد طلب منها الزواج إذ أنها أدركت مؤخراً أنه لم يغرم بها قط.

كانت هاريت حينئذ تشعر بالإحباط، لكنها كانت تعتبر غراهام رومانطيقياً إلى حد بعيد، فتكتفي ببعض الكلمات الرقيقة.

وذات يوم، اصطحبته من سيدني إلى منزلها الريفي لتعرفه إلى أهلها وفي عينيها ومضات حب وحول إصبعها خاتم خطبة. مازالت تتذكر حتى الآن. كيف نظرت أماندا إلى غراهام من المرة الأولى، وتتذكر الألم الذي اعتصر قلبها، فأحست أن الدموع تتلألأ في مقلتيها فأمسكت بدميتها القديمة البالية، وضمتها إليها بقوة وهمست إليها قائلة: «أما أنت، فتحبينني، أليس كذلك؟»

وإذ بأمها تطرق باب الغرفة وتدخل، وما ان رأت الثياب التي ارتدتها ابنتها حتى شحب وجهها وقالت:

«لكن... لكن حسبتك سترتدين ثوباً!»

تنهدت هاريت ووضعت الدمية على الوسادة، وألقت نظرة خاطفة على ثيابها، كانت ترتدي بنطالاً أنيقاً من الكتان لونه أصفر حانيء، وقميصاً متناسقاً وسترة بيضاء ضاربة إلى الصفرة، وتنتعل خفين باللون نفسه يلائم قدميها الصغيرتين. إنها ثياب مريحة وأنيقة تلائمها خير ملاءمة. قالت هاريت وقد عجزت عن كتمان استيائها: «ألا يعجبك هندامي؟»

ارتبكت جوليا وقالت:

«أنت تعلمين أنني أفضل أن ترتدي ثوباً، فأنا اريدك أن تبدي جميلة هذه الليلة.»

«أظن أنني أبدو جميلة فعلاً.» لِمَ لا تدرك أمها أن ما كان يلائم أماندا لا يلائمها هي؟

«لكن والدك يكره أن تلبس النساء بنطالاً، وأنت تعرفين ذلك.»

ابتسمت هاريت ابتسامة فيها مسحة من السخرية وقالت:

«لن يلاحظ أبي ما أرتديه من ثياب، فهو لم يدع السيد بارينغتون إلى العشاء سوى للعمل. إنه يأمل أن يقدم كتاب آخرون مشهورون وأثرياء على شراء أراض مجاورة في المستقبل. إن بيع العقارات وشرائها هو الأمر الوحيد الذي يهمه يا أمي، وليس زواج ابنته الكبرى.»

«هذا غير صحيح يا هاريت! لقد قال لي والدك ان السيد بارينغتون أعرب عن رغبته في التعرف إليك.»

اتسعت عينا هاريت العسليتان، فضحكت هذه الأخيرة قائلة: «لماذا؟»

كانت جوليا تبدو هي أيضاً مرتبكة، مما زاد الشك في قلب هاريت.

«حسناً... أنا...»

فقاطعتها هاريت وقالت:

«لا يهم، هيا، تعالي معي، لقد حان الوقت كي ننضم إلى أبي في غرفة الجلوس. إني أخاله قطاً ينتظر بفارغ الصبر وصول طريدته.»

هزت جوليا رأسها وهي حريصة على ألا تبعثر خصل شعرها الأشقر المجعد المصففة باتقان، وتمتمت:

«لا أحسبني أفهمك يوماً يا هاريت.»

ثم سارت أمام ابنتها على طول الممر وعبر الردهة

liilas.com/vb3 نور

الصغيرة، ونزلت أدراج السلم الذي يفضي إلى غرفة الجلوس. كانت تتنقل برشاقة ملفتة لطالما تمنت هاريت لو تكتسبها بدلاً من اماندا التي ورثت عن أمها أيضاً الجمال الأشقر، والجاذبية.

رفع ريموند ويذرسبون ناظريه عن طاولة الشراب التي كان واقفاً إلى جانبها وقال لزوجته:

«هل ترغبين في بعض الشراب يا حبيبتي؟»

ثم دنا منها وقبلها على وجنتها وألقى نظرة خاطفة وغير مبالية على هاريت وقال:

«أوه... وأنت يا هاريت... بمَ ترغبين؟»

«لا شيء، شكراً.»

لقد أيقنت بشيء من السخرية أنها كانت على حق، فوالدها لم ينتبه لما كانت ترتدي. لقد كان رجلاً أنانياً، لا يعيش إلا من أجل أعماله العقارية ويعمل حتى في نهاية الأسبوع فلا يمنح عائلته إلا القليل القليل من وقته. وقد أدركت هاريت أن أمها كانت سعيدة معه، فالمعطيات التي كانت تتطلب توافرها عند الزوج تختلف عما كانت تطمح إليه ابنتها، فهاريت كانت تود أن تشاطر شريك حياتها كل شيء.

قطع قرع جرس الباب حبل أفكارها وولّد في نفسها بعض التشنج. إنها على وشك أن تقابل براد بارينغتون. كانت هاريت قد تجاهلت خطط أمها، إلا أنها كانت تقر لنفسها بأنه رجل مثير للاهتمام، وبأنها تعتبر رغبته في التعرف إليها إطراءً لها. لماذا؟ لم تكن تدري، ربما كان والدها قد تحدث عن كتاباتها لكنه أمر تشك فيه.

عقد والدها حاجبيه ونظر إلى ساعته:

«لقد أتى الرجل باكراً. افتحي الباب يا هاريت.»

قالت له جوليا: «سأتحقق من أن كل شيء على ما يرام في المطبخ. أوه.. راي، حبيبي.»

توقف زوجها ونظر إليها نظرة اهتمام وقال:

«نعم؟»

ابتسمت له ابتسامة مشرقة وقالت:

«أردت فقط أن أقول لك كم تبدو وسيماً هذه الليلة بلباسك الرمادي. إنه لون يلائمك حق الملاءمة.»

حاولت هاريت أن تكتم استياءها، لكن محاولتها باءت بالفشل. كانت تعلم أن اللطف والإطراء يحبذه الرجال، إذ ان أمها وأماندا كانتا تعتنقانهما أسلوباً للتعامل معهم. أما هاريت، فكانت تشعر بأن شيئاً ما في داخلها يتمرد على اسلوب كهذا، يحط من شأن الرجل والمرأة معاً، فأدركت وقلبها يعتصر ألماً أنه إذا كان هذا الأسلوب هو سر جاذبية المرأة، فإن الحب لن يعرف أبداً سبيلاً إلى قلبها.

«الباب يا هاريت!»

أطبقت حنكها وسارعت إلى ردهة المدخل، تحملها ساقان ممشوقتان. ما إن بلغت الباب حتى انتابها ألم في معدتها. بذلت جهداً جهيداً وفتحت الباب بعدما أرغمت نفسها على الابتسام ما لبث أن تسمرت على شفتيها حينما باغتها ضيف والدتها الكريم.

لا بد من أن الارتباك كان مرتسماً على وجهها. انتصب براد بارينغتون بعدما كان متكئاً على أحد عواميد المدخل، ثم قال بصوت خمول وبطيء:

lilas.com/vb3

«هل هذا منزل السيد ويذرسبون؟»

نظرت إليه هاريت من رأسه حتى أخمص قدميه من دون أن تتمكن من إخفاء دهشتها. لم يجرؤ أحد على تلبية دعوة أمها إلى العشاء وهو يرتدي مثل هذا الزي الحقير! كان البنطال الأسود والقميص المغضن يبدوان وكأنهما أثمالاً بالية.

فغرت هاريت فاهها حينما دنا منها براد بارينغتون فأنار ضوء الجدار وجهه. لم يحلق ذقنه!

«هل من خطب؟»

حولت هاريت بصرها عن ذقنه ونظرت إلى عينيه. كانت تلتمع في زرقتهما النافرة ومضة نكية وضاحكة وكان يعلوهما حاجبان مخططان مرفوعان نحو السماء.

يا للدهشة! لقد كان أكثر وسامة مما كان يبدو على التلفزيون. ربما لم يكن وجهه ملائماً للتصوير لكنه كان ينضح بجاذبية لا تقاوم، جاذبية مخيفة بعض الشيء.

نظر إليها بدوره من رأسها حتى أخمص قدميها فجعلها تشعر بضعفها، وهو شعور لم يخالجها من قبل.

ابتلعت ريقها ثم ألفت نفسها تنظر إلى شعره الأشعث الذي كان جذاباً وإن لم يكن طويلاً. كان باستطاعتها أن ترى عبر نور الضوء أن الخصل الكستنائية المتمردة كانت تمتزج ببعض الخصل البيضاء، فتضفي على لون الشعر صبغة اشبه بلون الدخان، كما أن تلك اللمسات الرمادية وتلك الخطوط المحفورة حول عينيه وشفتيه كانت تزيد من جاذبيته.

«هل ابتلع القط لسانك يا حلوتي؟» افترت شفتا هاريت

أكثر وأكثر إذ تذكرت أن بطل الرواية التي تحمل عنوان (الخيال)، كان يدعو كل امرأة يلتقي بها (يا حلوتي) أجل، لقد كان يدعوها كذلك. ترى، هل كان ذلك البطل يمثل سيرة هذا الرجل الواقف أمامها؟

شعرت هاريت بأن حلقها بدأ يجف من جراء هذه التكهنات، فاستعادت رباطة جأشها ولكن بصعوبة، ثم قالت بهدوء جلي:

«لقد أبكرت في المجيء يا سيد بارينغتون. اسمي هاريت.»

«هاريت.»

ابتسم لها ابتسامة عريضة ووضع يديه في جيبي بنطاله الحقير، الذي كان قديماً وباليا لدرجة أنه كان ملتفاً حول وركيه. لا ريب في أن والدتها ستصاب بنوبة حادة لدى رؤيته. انحنى قليلاً إلى الأمام وسألها قائلاً:

«هاريت ماذا؟»

«ويذرسبون.»

رفع مجدداً أحد حاجبيه وسوّى وقفته، إلا أنه لم يتفوه بكلمة، فحملت، أمارات الدهشة التي بدت على وجهه، هاريت على إدراك حقيقة كان لها وقعاً موجعاً. لقد كذب والدها بشأن رغبة بارينغتون في التعرف إليها! فلم يكن هذا الأخير على علم أن هناك فتاة تدعى هاريت ويذرسبون. كان عليها أن تدرك بأن الحلم لن يستحيل! سألها بوقاحة:

«هل سننتظر في الخارج حتى يحين الوقت المحدد؟»

رمقته هاريت بنظرة موبخة. لا ريب في انه يحاول أن

liilas.com/vb3 نور

يفتن كل امرأة يلتقيها، لكنه لن يتمكن من تطبيق عادته معها. قالت له بهدوء: «هلا تبعتني؟»

ثم استدارت ودلته على الاتجاه الذي يفضي إلى الدار.

«حاضر، سيدتي.»

أرغمت هاريت نفسها على عدم إلقاء نظرة عليه، لكنها كانت تقسم بأنه أحدث طقطقة بكعب حذائه، كما أن شعوراً ما كان يحدثها بأنه يضحك من وراء ظهرها، وبأنه يسخر منها، شعور أليم محا الإحساس الذي ساورها بأنها ستستمتع بالسهرة.

كم كانت حمقاء حينما أدخلت كلام أمها إلى ذهنها، فلم يكن لهذه الأخيرة أية فكرة عن طريقة العيش خارج فاليز إند، فخيل لها أن براد بارينغتون قد يكون فارس أحلام ابنتها الصعبة المراس! أما الآن وقد تعرفت إليه، أيقنت هاريت أن الفكرة كانت سخيفة جداً. لن ينظر إليها براد بارينغتون أكثر من مرة، فكيف يفكر في الزواج بها؟

إلا أن إدراك الحقيقة لم يخفف من حدة وقعها، فضغطت هاريت على شفتيها وحاولت جاهدة أن تكتم الاضطراب الذي اعتراها وشعور الغباء المربك طبيعياً مع هذا الرجل وهي خائفة مما قد تقوله أمها.

تنهدت بعمق... ستكون هذه الليلة طويلة ومربكة...

الفصل الثاني

استدارت هاريت لتغلق باب المدخل، فوجدت براد بارينغتون عابساً.

«أظن أن لديك أختاً؟»

فاجأها سؤاله فطرفت بعينيها وقالت: «لماذا؟»

«لست الفتاة التي رأيت صورتها على مكتب ريموند.»

لقد أراد التعرف إلى أماندا.

شعرت هاريت وكأن يداً تقبض على معدتها، فأجابته وهي تحاول أن تتكلم بصوت عادي: «لا بد أنك تقصد أماندا.»

لكن صوتها خانها، إذ ان براد بارينغتون رمقها بنظرة حادة.

تكلفت الابتسام لكنها كانت تشعر وكأن اثقال الدنيا كافة وضعت على شفتيها.

«انها اختي الصغرى. هي جميلة، أليس كذلك؟»

حاولت هاريت أن تحافظ على ابتسامتها، ولم تحتمل رؤية الخيبة ترتسم على وجهه حينما اضافت:

«أنا آسفة، لكنها في اميركا في الوقت الحاضر.»

قال لها: «أوه؟ لقضاء العطلة؟»

«كلا. انها تعيش هناك مع خطيبها.»

قالت ذلك بلهجة من أراد الانتقام، فهي لم تكن لتصون صيت أختها السيىء في فاليز إند. وان كانت تتوقع ان يصدم

lilas.com/vb3

خبر كهذا الزائر، فهي مخطئة، إذ ان هذا الأخير تبسم بسمة لطيفة وقال: «يا للرجل المحظوظ.»

استدارت هاريت فجأة كي ترى ردة فعل امها لدى لباس زائرهم المتواضع. كانت تود لو يستهجن هذا الرجل، فلا تعود مضطرة إلى تحمل محادثته مجدداً.

قادته وهي تتنقل برشاقة عبر الممر وعبر البابين المشرعين وصولاً إلى غرفة الجلوس.

«أمي؟ أبي؟ لقد وصل السيد بارينغتون.»

رفع والداها ناظريهما، فارتسمت الدهشة على وجهيهما لدى رؤيتهما مظهر زائرهما غير اللائق. ثم انتصب ابوها ومد يده ليصافح زائره وقال: «أنا مسرور لرؤيتك من جديد يا براد. لقد نبتت لحيتك، كنت أخبر جوليا للتو... جوليا...»

استدار ومد يده نحو زوجته. ابتسمت هذه الأخيرة ابتسامة مشرقة ودنت منهما، فراح الثلاثة يتحادثون، وما لبثت امها أن اصرت على الزائر ان يدعوها جوليا. تراجعت هاريت إلى الوراء وقد خاب املها كلياً. كانت تريد أن تراها وهي ترفع انفها وتحكم عليه حكمها على الناس الذين لا يتحلون باللياقة الاجتماعية الا ان هذه الأخيرة كانت تبتسم للرجل وتصغي الى كل كلمة يتفوه بها.

قال لها بارينغتون بصوت رقيق: «اعذريني على ارتدائي هذا اللباس يا جوليا. كنت افرغ حقائبي ولم انتبه لمرور الوقت، فداهمتني الظلمة حتى انني لم استطع ان اجد ساعتي. لم يكن لدي ادنى فكرة عن الوقت الذي سأستغرقه حتى اصل الى هنا. حسبت انه من الأفضل ان اصل باكراً وان كان مظهري غير لائق.»

ثم ضحك وتابع قائلاً: «لم يستغرق وصولي إلى هنا سوى القليل من الوقت، لأنني معتاد زحمة السير الخانقة في المدينة، وكأنما الطرقات الريفية المقفرة موجودة في عالم آخر.»

«أليس لديك ساعة حائط او جهاز راديو؟»

استدار الثلاثة نحو هاريت وقد بدت على وجوههم امارات تظهر ان حضورها غاب عن بالهم إلى ان تكلمت، ولاح في عيني السيد بارينغتون الزرقاوين الذكيتين بريق يدل انه لاحظ شيئاً.

liilas.com/vb3

ربما كانت النبرة التي تكلمت بها قد خانتها وكشفت عن ازدرائها أو ربما خانتها وقفتها وهي متصلبة الكتفين وملتفة الذراعين.

إلا انه دنا منها وهو يبتسم ثم قال: «لم يكن لدي الوقت الكافي كي افرغ حقائبي كلها، فلا شك في انني سأعثر على ساعة الحائط الغريبة أو على جهاز الراديو. لكنني لا احتاج دائماً إلى معرفة الوقت، فأنا غالباً ما أحزره.»

«أليس في ذلك بعض المخاطرة؟»

كانت هاريت تتكلم بنبرة تدل على انها لم تكن قادرة على امتلاك نفسها. لقد انتابها شعور مقيت بأن ضيفهم لاحظ امتعاضها فحاول ان يهدىء من روعها، وما ازعجها اكثر هو انه كان الشخص الوحيد في الغرفة الذي شعر بغضبها.

حدق اليها برهة وهو يرفع حاجبه الأيسر، فنظرت إليه هاريت النظرة نفسها من دون أن يطرف بصرها وكأنها تقول له، تباً لك يا براد بارينغتون وتباً لسائر الرجال في هذا العالم الفاسد والظالم.

ارتسم طيف ابتسامة على شفتيه، ثم استدار نحو مضيفه ومضيفته، لكن هاريت استطاعت ان ترى بريق السخرية في عينيه. لقد فاجأها جوابه. كانت تتوقع ان يفحمها رجل بذكائه وخفته، الا انها لم تتوقع قط أن يضحك من تهكمها.

قالت له جوليا: «هل اخبرك ريموند ان هاريت هي أيضاً كاتبة؟»

تنهدت هاريت تنهداً عميقاً وقالت: «أوه... لا.»

ثم قالت بصوت مرتفع: «أمي!»

«كاتبة.»

استدار نحوها مجدداً ونظر اليها نظرة فضول، اما هي، فراحت تنكر ما قالته امها بشيء من الارتباك: «كلا... لست كاتبة فعلاً. اني اعلم اللغة الانكليزية وأهوى تأليف القصص، هذا كل ما في الأمر. لم انشر ما الفته الا مرة او مرتين في احدى الصحف المحلية.»

«وماذا عن النص المسرحي الذي كنت تؤلفينه يا عزيزتي؟ لن تدعنا هاريت نقرؤه يا براد، لكن لا شك في أنها تود ان تطلعك عليه.»

قاطعتها هاريت متوسلة: «أرجوك يا أمي! مما لا شك فيه أيضاً أن السيد بارينغتون لا يرغب في أن أزعجه بكتاباتي التافهة.»

قال لها باصرار مدهش وببسمة حارة: «أنت مخطئة جداً، فأنا أود لو اقرأ نصك المسرحي. لا تناديني السيد بارينغتون، بل قولي لي براد فقط.»

نظرت هاريت إلى عينيه لترى فيهما السخرية، لكن بريق السخرية كان قد هجرهما، فأحست هاريت بوجنتيها

تلتهبان. لم تعل الحمرة وجنتيها مذ كانت في سن المراهقة، وها هي الآن ماثلة امام هذا الرجل كمراهقة مرتبكة. لقد ازعجها ذلك اشد الازعاج لأن رباطة الجأش هي الصفة الوحيدة التي كانت تعتد بالتحلي بها.

إلا ان كلام براد بارينغتون لم يخل من الصدق، والحق يقال انها لم تجد اي مبرر للاعراب عن رغبته في قراءة نصها المسرحي ان لم يكن يبغي ذلك فعلاً، فبعدما شاهدته على التلفزيون، استنتجت أنه رجل صريح لا يعرف المواربة لذا، قد يسعه اختلاق اي عذر مهذب يجنبه قراءة نصها، لكنه لا يفعل شيئاً خارجاً عن ارادته.

كانت هاريت تعلم في قرارة نفسها ان طبعه هذا يستهويها كثيراً، فقالت له بصوت ينم عن بعض الشك: «انت تعلم انك لست مرغماً على قراءة النص.»

أجابها بلطف ولكن بحزم ايضاً: «أعلم انني أريد ذلك.»

ما أغرب الشعور الذي أحست به، بعد كلامه هذا، كلام دخل قلبها كموجة عارمة من البهجة اذابت فيه جليد الألم وحركت فيه مشاعر عذبة، كلام انساب إليها انسياب النور فأشرق وجهها وابهج عينيها، فتمتمت وهي تنظر بعيداً كي لا يرى ردة فعلها: «هذا لطف منك.»

كانت تعلم في قرارة نفسها ان هذا الشعور الغريب الذي خالجها كان بمثابة الامتنان لمراعاة غير متوقعة، فتساءلت لبرهة ان كان براد بارينغتون قد عانى يوماً شعور عدم الأمان الذي ينتاب الكاتب، أو ان كان قد احس يوماً ان ما من احد سيقدر ما كتبه او سيفهم ما تكتنفه الكلمات من مشاعر.

وإذا بالحقيقة تتجلى لها: لا شك في انه عانى هذا

lilas.com/vb3 نور

الشعور، فأي كاتب لم يعانيه! وحده الكاتب يستطيع ان يفهم عدم رغبتها في كشف افكارها للأشخاص غير المبالين والجهلة. هذا هو السبب الذي حمله على تقديم خبرته وتجربته. ولكن، يا للأسف، لم تكن لهاريت الجرأة الكافية لتدعه يطلع على نصها.

ومع ذلك، ان هذا لطف منه.

اختلست النظر اليه، فرأته يحدق اليها باهتمام جلي، فتسارعت نبضات قلبها. يا للدهشة! انه لرجل مثير حقاً!

قاطعها ريموند قائلاً: «كفوا عن التكلم عن الكتابة، تعالى يا براد، واخبرني عن المشاريع التي تنوي انجازها في ميست ماونتن.»

liilas.com/vb3

انقضت السهرة في جو افضل مما توقعته هاريت. فراح والدها يتحدث باعتزاز، ووالدتها تعتد بما حققته، وأخذ ضيفهم يستميلهم باخباره المضحكة عن حياته في المدينة وعن رحلاته المتعددة والمتنوعة، فتساءلت هاريت وهي تقدم لهم بعد العشاء الحلوى المنكهة بالنعناع، اي بلد لم يزره براد بارينغتون بعد، فقالت بعدما انتهى من سرد رحلته الأخيرة الى الصين.

«أود أن أذهب إلى هناك. لقد شاهدت مؤخراً فيلم (الامبراطور الأخير)، فشغفتني روعة تلك القصور القديمة الفخمة. قد تكون رؤيتها عن كثب ولأول مرة...»

راحت تهز بكتفيها محاولة ان تجد الكلمة المناسبة، لكن من دون جدوى، فقال لها براد: «مدهشة. لكن، ولسوء الحظ، لن تسعك زيارة معظم هذه القصور إن كنت تحملين تأشيرة سياحية. أظن ان المنتج قد استحصل على اجازة خاصة

لتصوير مشاهد الفيلم في تلك المواقع الأثرية المحظورة عادة.»

ثم تناول فنجان القهوة وأخذ يرتشفه بهدوء ليستمتع بنكهة القهوة الطيبة التي اعتادت امها تحضيرها، فقالت هذه الأخيرة وهي تتنهد: «ان تكاليف السفر باهظة في ايامنا هذه.»

أجابها الضيف وهو يضع فنجان القهوة على الطاولة ويتكىء على كرسيه ويتكلم وهو منفرج الأسارير: «للكاتب امتيازات في كل حقل يخصه.»

كم كانت هاريت تحسده على ثقته المفرطة في نفسه، فهو لن يشعر ابداً بانه اقل شأناً من أي شخص كان، وفي أية مناسبة.

ها هو بلحيته النامية ولباسه القديم يتصرف تصرف ملك مع اتباعه الخاضعين إلى أوامره. وتابع يقول: «قد تخفض رسوم سفره شرط ان يذكر الأماكن التي يزورها بطريقة او بأخرى في كتابه وأن ينشر كتابه هذا.»

وضحك ضحكة رنانة، فلم تلقَ هاريت نفسها إلا وهي تنحني إلى الأمام وتمسك ذقنها بين يديها، غير قادرة على أن تحول بصرها عن عينيه.

ثم أضاف بلهجة مرحة: «بالطبع كان من الصعب أن أذكر رحلتي إلى الصين في كتابي الأخير الذي كانت احداثه تجري في الساحل الذهبي في كوينزلاند. لكن المحاسب أصر على ذلك، فرويت ان البطل عاش ماضٍ غامض في ذاك البلد واهدر فيه سنتين قضاهما خلف ستائر الخيزران، ووفرت على تلك الفصول دفع مزيد من المال للمحاسب العزيز.»

صاحت جوليا بدهشة: «أوه... ما أنكاك!»

قال ريموند وهو يعتد بنفسه: «الفضل يعود إلى المحاسب الذكي!»

عقدت هاريت حاجبيها، على الرغم من اعجابها بضيفهم، كانت ترفض ان تعدل رواية من أجل المال، كما كانت تأبى أن ينسج خيال الكاتب شخصية يسند اليها دور محدد من أجل ادخار المال فقط... انه امر مناف للشيم.

مناف للشيم... انها عبارة مثيرة للاهتمام، مختلفة عن عبارة مناف للاخلاق، لا تحمل معنى الشر المقصود، بل تحمل معنى اللاوعي، معنى عدم التمييز بين الخطأ والصواب.

افترت شفتاه فيما كانت هاريت تحدق به وارتفعتا عند احدى الزاويتين، فادركت حينما نظرت إلى عينيه انه كان يبتسم لها.

كان عليها ان تحول بصرها عنه، ان تحمي نفسها من العافية التي كان ينضح بها، إلا انها لم تقو على ذلك، بل على العكس، ظلت عيناها مسمرتين فيه، تستهويهما الخطوط المرتسمة على وجهه ويفتنهما ذاك البريق الجريء الذي كان يلتمع في عينيه كلما نظر الى امرأة... أياً كانت.

لم تكن هاريت غبية كي تظن انه كان يمارس جاذبيته عليها فقط، إلا انه كان جامحاً ومدمراً.

سألها: «هل قرأت مؤلفاتي يا هاريت؟ أم أن كتبي لا تستهويك؟»

فقالت امها قبل ان تتمكن هاريت من الاجابة: «هاريت تقرأ بكل بساطة الكتب على انواعها.»

فردت عليها بنبرة حادة: «كلا يا امي، ليس على انواعها. لقد قرأت روايتيك الاولتين، واستمتعت بقراءتهما خير استمتاع الا انني لم استحصل على رواية اخرى... اني آسفة؛ فقد غاب عن بالي عنوان روايتك الأخيرة. ما هو؟ سوف اشتري نسخة منها ان سنحت لي الفرصة.»

«عنوانها (هاي رايز)، أو الشروق السامي، لكن، لا تشتري الكتاب، لا سيما النسخة المغلفة بالغلاف السميك فهي باهظة الثمن. سوف اعطيك واحدة من النسخ غير المنشورة التي احتفظ بها في أحد الصناديق والتي لا نفع منها الا لتكديس الغبار! لا، لا ترفضي، لن آخذ رفضك بعين الاعتبار.»

هزت هاريت رأسها بارتباك ساخر وتمتمت وهي تدرك في قرارة نفسها انه قلما يأخذ براد بارينغتون اجابة النفي بعين الاعتبار، سيما في بعض المسائل المحددة وقالت له: «هذا كرم منك.»

خانتها افكارها تلك فعلت الحمرة وجنتيها، وتذمرت من نفسها. ما من رجل ولد فيها هذا الارتباك مذ قطعت علاقتها بغراهام، وهذا امر يثير الاضطراب بقدر ماهو تافه!

أزاح ريموند كرسيه ووقف، ثم قال: «هل ترغب في فنجان من الشاي يا براد؟»

«بكل سرور.»

قال ذلك فيما راحت هاريت تقر لنفسها بانه ضيف ممتاز، ربما حسبته ساخراً حينما قابلته لأول مرة على عتبة الباب، الا ان زيه المغضن وذقنه المكسو بلحية نامية اصبحا امرين تافهين نظراً لقوة شخصيته وحيويتها.

lilas.com/vb3
نور

وخطر على بالها ان اماندا كانت لتغرم به لاشك، والعكس صحيح.

وارتاحت لأن شقيقتها كانت في اميركا، فقد يشق عليها بعد هذه الليلة ان تحتمل تجاهله لياها، وأن تطيق رؤيته وهو يلاحق اماندا. كان بوسع هاريت ان تتخيل تطور الأمور... الاتصالات الهاتفية المتكررة... اللقاءات المستمرة...

سألها براد حينما جلس والدها من دون أن يسكب لها فنجاناً من الشاي: «الا ترغبين بذلك يا هاريت؟»

رمشت عيناها بعدما عادت بذهنها إلى الواقع، فاحمرت وجنتاها ارتباكاً. لم يكن يجدر بها أن تكون متشائمة إلى هذا الحد، فتطلق العنان لمخيلتها، فشرعت تقول: «كلا...»

إلا انها اعرضت عن الكلام بعدما انتابها شعور بالتمرد حيال تصرف والدها الفظ، شعور حدا بها إلى تبديل رأيها، فقالت بنبرة قاطعة: «كلا، لا أمانع في تناول فنجان.»

انتصب براد في غضون برهة وأصر على مضيفه قائلاً: «لا تنهض يا ريموند، فأنا أقرب منك.»

أمسك الابريق ودنا من الطاولة بسرعة البرق وسكب الشاي في فنجان هاريت الفارغ باتقان، ثم ضحك وقال: «لا يمكن ان ادع زميلتي في الكتابة تموت عطشاً، أليس كذلك؟»

ابتسم لها ابتسامة تنفذ إلى القلب. ارتعشت يدها فيما كانت ترفع الفنجان إلى شفتيها، فاضطرت إلى وضع يدها الأخرى حول أصابعها المرتجفة كي لا ينذلق الشراب من الفنجان. لحسن الحظ ان براد كان بعيداً فلم يلحظ اضطرابها.

أما أمها فلاحظت ذلك... بابتسامتها التي تنم عن اعتداد بالنفس.

كتمت هاريت انيناً كاد أن يفلت من شفتيها. ألم تكن امها تعلم مع اي نوع من الرجال تتعامل؟ لقد اعتاد براد بارينغتون هذا التصرف، فان كل حركة لبقة يأتيها لا تعني انه يعتبر هاريت بالذات امرأة جذابة، فهو قد يتصرف التصرف نفسه مع عجوز تجاوزت الثانية والثمانين.

شعرت هاريت ببعض الارتياح حينما اشرفت السهرة على الانتهاء. لا بد من أن والدتها سوف تتخلى عن افكارها وتدبيراتها ان لم يطرق السيد بارينغتون العزيز بابهم ثانية او ان لم يتصل مجدداً.

لقد كانت جوليا ويذرسبون امرأة تقليدية تأبى ان تحاول لفت نظر الرجال، فكانت تعيش في عالم خاص بها، يكون فيه الرجل صياداً وتكون فيه المرأة طريدة.

راحت هاريت تفكر بأن ذلك قد يشكل جزءاً من مشكلتها، فهي تشبه والدتها إلى حد كبير، إذ انها تتوقع وتنتظر ان يقوم الرجل بالمبادرة اولاً. يا لها من مجنونة! لقد غدا مألوفاً في ايامها ان تبادر المرأة إلى الاتصال بالرجل وتطلب منه الخروج معاً. ألم تسمع بتحرر المرأة؟ لكن...

عقدت حاجبيها وألقت نظرة خاطفة على زائرهم، فخطرت على بالها فكرة أليمة، فكرة ان اماندا لم تكن لتدع هذا الرجل يفلت منها بسهولة. ثم انتقلوا ليجلسوا في الردهة المواجهة للشرفة المطلة على الوادي. كان في وسعهم أن يخرجوا إلى الشرفة في الصيف، إلا ان شهر آب

(أغسطس) لم يكن بارداً فحسب، بل عاصفاً، لذا، راحوا يتأملون الوادي المغمور بضوء القمر من وراء زجاج النوافذ الآمن والدافىء فيما كانت النار تتقد في المدفأة القابعة في الزاوية.

قال براد: «أود أن أصمم منزلي على غرار تصميم منزلكم، فأزيل الحائط المطل على الوادي واستبدله بنوافذ زجاجية.»

لم تكن تلك المرة الأولى التي يذكر فيها التغييرات التي يود ان يحدثها في المنزل القديم الذي اشتراه في ميست ماونتين. فسألته جوليا وقد فتحت عينيها واسعاً: «هل ستقوم بنفسك بأعمال الترميم؟»

«طبعاً لا! فأنا أسوأ عامل في العالم. لقد نصحني ريموند باستخدام عاملين محليين يجيدان القيام بأعمال مماثلة، لكنني لن اباشر اي عمل قبل مرور ستة اشهر على الأقل، ريثما انتهي من وضع مسودة روايتي الجديدة، وسوف احتاج حينئذ لبعض الراحة. أنا لا استطيع ان احتمل ضجيج العمال، لأن ذلك يؤثر على قدرتي على التركيز.»

قالت هاريت من دون سابق تفكير: «لكنني حسبتك تحب الضجيج فيما تعمل.»

نظر اليها بعينين مندهشتين بينما كانت جالسة على طرف المقعد المصنوع من الجلد الذي يتسع لأربعة اشخاص، وفيما كان والداها جالسين على الكرسيين المحاذيين لهما.

سألها: «كيف خطرت هذه الفكرة على بالك؟»

فاجأها رده، فتمتمت قائلة: «لقد قلت هذا الكلام بنفسك خلال عرض برنامج (الليلة) على التلفزيون.»

احالت نظرته حينئذ إلى نظرة تهكمية وقال: «عزيزتي هاريت، لن يحبذ قرائي قولي الحقيقة، قولي اني اسجن نفسي في غرفة مظلمة وأنا اكتب، ولا أرى نور النهار خلال اسابيع. ان قرائي يرغبون في ان اكون رجلاً همجياً اقوم بالأعمال نفسها التي يقوم بها ابطالي.»

فقالت له ساخرة فيما ساورها الخوف: «ألا تفعل ذلك فعلاً؟»

رمقها بنظرة قاسية، فانثنت اصابع رجلها في حذائها، إلا انه اعترف قائلاً: «أحياناً... ربما... لكن لا أفعل ذلك سيما حينما أكون منكباً على الكتابة، فانا اعطي كل ما لدي حينما اكتب، وليس عندي الوقت ولا اتحلى بالقوة كي اقوم بأي عمل آخر.»

حولت هاريت بصرها عنه ونظرت الى والدتها التي كانت تبدو قلقة بعض الشيء. أما والدها، فكان مستغرقاً في كرسيه يدخن سيجاراً، وغالباً ما كان يتصرف هكذا ان لم يشارك في حديث ما.

قالت جوليا بهدوء وقد بدت امارات الارتباك على وجهها: «يجدر بي أن اقرأ احدى رواياتك يا براد.»

ليتها تفعل ذلك فلا تضطر هاريت إلى سماع كلمة واحدة تشيد بالسيد بارينغتون على أنه أفضل عريس يمكن ان يطلب يدها.

ويا له من عريس! ان أية امرأة لا تستطيع أن تثق به ان غاب عن ناظريها ولو للحظة.

كاد فنجانها أن يفلت من يدها حينما انحنى فجأة

liilas.com/vb3 نور

وهمس لها: «متى ستسمحين لي بقراءة نصك المسرحي يا هاريت؟»

لا ريب في أن وجهها خانها وأظهر ارتباكها اذ ان براد اضاف بلطف.

«اقسم لك انني ناقد لطيف.»

«حسناً...»

«لِمَ لا تأتين به غداً فأعطيك نسخة عن روايتي الجديدة؟ وقد استميلك كي تساعديني في ترتيب كتبي ورصّها في المكتبة، فلا غنى عن تدخل المرأة في شؤون المنزل، الا تظنين ذلك يا جوليا؟»

تبددت امارات القلق من وجه امها حينما ابتسم لها براد ابتسامته الفاتنة، فأقرت قائلة: «ليس بوسعي الا ان اشاطرك الرأي، سيما وان هاريت منظمة بارعة، فلا تضع شيئاً في غرفتها الا في مكانه المناسب، على خلاف شقيقتها التي تزرع الأشياء في كل مكان...»

أعرضت الأم عن الكلام حينما رأت هاريت منقبضة الأسارير، وما ان القت نظرة خاطفة على الرجل الوسيم الجالس بقربها حتى تبادرت الفكرة إلى ذهنها: شكراً لأن اماندا في اميركا!

تنهد براد تنهيدة رضى ووضع فنجانه الفارغ على الطاولة ثم وقف وقال: «كانت سهرة ممتعة يا جوليا... ويا ريموند، لكن حان الوقت كي اغادر.»

انتصب الثلاثة الآخرون، فألفت هاريت نفسها مكلفة مرافقة ضيفهم الى باب المدخل، وفيما كانت تسير معه، تذكرت ان مسألة الذهاب اليه في اليوم التالي لم تناقش

بعد. انها ترغب في الذهاب، لا يمكنها ان تنكر ذلك، الا ان الدافع الذي حداه إلى دعوتها كان موضع شك بالنسبة اليها.

اختلست هاريت النظر اليه فيما توقفت لتفتح الباب. كم كان طويل القامة، عريض المنكبين، ضخم الصدر.

«اذاً يا هاريت؟ متى يمكنني ان انتظر زيارتك غداً؟»

كان عليها ان تنظر اليه مباشرة الآن فتلتقي عيناها بعينيه وترى فيهما سؤالاً مهذباً فتدرك ان دعوته كانت من باب الصداقة فقط، او من باب اللطف الممزوج ربما بالشفقة. لقد لاحظ كيف تجاهلها والداها، انها متأكدة من ذلك.

من الحماقة ان يولد فيها ادراكها خيبة امل، الا ان أملها قد خاب حقاً.

ابتعدت وارشدته إلى باب المدخل، ثم سألته بغتة: «هل أنت متأكد من أنك ترغب في ان اذهب اليك غداً؟»

أجابها باصرار: «طبعاً! ولِمَ لا؟»

«كل ما في الأمر ان...»

ما لبث ان قاطعها وقد انقبضت اساريره لأول مرة في تلك الليلة: «آه... فهمت... لم يخطر ذلك على بالي... هذا غباء مني.»

قالت له بارتباك: «ما هو الأمر الذي غاب عن بالك؟»

«لن يحبذ صديقك مجيئك إلي، فلا ريب في أن فتاة مثلك لديها صديق...»

ليته قال كلاماً أخف وطأة على أذنيها، لكن ثناءه غير المباشر ارسل ومضة سرور إلى قلبها، حتى انها بدت مندهشة حينما ابتسمت له وقالت محاولة ان تكتم شعورها

lilas.com/vb3
نور

هذا: «في الواقع، ليس لدي صديق في الوقت الحاضر.»
رفع حاجبيه المخططين وقال: «عليّ ان اعترف بأن ذلك يدهشني.»

كان يبدو صادقاً في كلامه، فشعرت هاريت بالمودة تنمو في قلبها، وسمعته يقول: «إذاً، ما المشكلة؟»

ضحكتها كانت خافتة مبتهجة، فقالت: «كل ما في الأمر انني لا أريد ان افرض نفسي عليك، فلا بد من ان كتاباً كثيرين يزعجونك اذ يعرضون عليك قراءة مؤلفاتهم. وليس هذا السبب الوحيد، فأنا لا أظن جدياً ان مسرحيتي سوف تنشر او تؤدى على خشبة المسرح، فأنا اعتبرها عملاً خاصاً وشخصياً، هل تفهم؟ انها في الواقع هواية.»

نظر اليها نظرة ملؤها اللوم وقال: «أنت لا تظنين ذلك فعلاً يا هاريت ويذرسبون، وأنا كذلك. ما الجدوى من انتقاء الكلمات الملائمة ان لم يقرأها احد؟ من الواضح انك فتاة صريحة وذكية ايضاً، وأراهن ان مسرحيتك جيدة. لا تستخفي بها ولا بنفسك. لا تفقدي الثقة!»

حاولت هاريت ان تكتم ارتباكها، فهي لم تتوقع ان يكون لها الضيف الكريم واعظاً، فأجابته بصدق: «هذا كلام ينطبق عليك، فأنت كاتب ناجح وعظيم!»

لكنه أجابها ببعض الحزن: «ليست هذه هي الحال دائماً. هيا، لا أريد أن اسمع مزيداً من هذا الكلام التافه. سوف انتظرك حوالى الساعة الحادية عشرة. اجلبي نصك والا اعدتك إلى هنا وجلبته بنفسي، اتفقنا؟»

فكرّرت مذهولة: «حسناً.»

liilas.com/vb3
نور

استدار ونزل ادراج السلم مسرعاً وسار نحو سيارة من نوع بورش سوداء اللون فخمة، يكتنفها الظل جزئياً.

وإذ فتح باب السيارة وجلس في المقعد، قال لها: «اخبري والدتك انك ستتأخرين في العودة.»

كانت لا تزال واقفة فاغرة فاهها حينما انطلقت السيارة.

الفصل الثالث

في صباح اليوم التالي، شعرت هاريت ببعض الإرتياح حينما غادرت المنزل. فوالدتها لم تكف عن الإشادة بالسيد بارينغتون. حينما كانتا في السيارة، إن في طريق الذهاب أو الإياب، فأمطرتها بوابل من الصفات: «ألم يكن وسيماً وفاتناً وذكياً ومثقفاً ثقافة واسعة...؟»

أثار هذا الكلام سخط هاريت... إنه يتحلى بهذه الخصال جميعها لكنه لم يكن مثالياً. وظلت الأم تلمح إلى أنه أعجب بها إعجاباً مفرطاً، لكن هاريت لم تكن لتصدق ذلك.

وإذ استيقظت هذا الصباح وهي هادئة البال، اعتبرت هاريت دعوة براد كما يفترض أن تكون، دعوة صديق إلى صديق، لا أكثر.

كانت هاريت متأكدة من أن براد لم يكن يبغي منها أكثر مما قاله: لقد طلب منها مساعدته في ترتيب كتبه مقابل حصولها على نسخة مجانية من روايته والإطلاع على رأيه في نصها المسرحي. ربما كان ينوي أن يجلس ويباشر قراءته حالاً، إذ انه توقع أن تمضي النهار كله عنده، أو ربما كانت كمية أمتعته أكبر من العادة.

كانت متأكدة من أن دعوته لم تكن تخفي دوافع اخرى. فإن أي رجل أقام صداقة مع امرأة فاتنة الجمال على غرار ليديا ريتسموند لن ينظر إلى هاريت ويذرسبون!

ضحكت هاريت عالياً إذ ساورتها هذه الفكرة السخيفة

وهي تخرج سيارتها الحمراء من المرآب وانطلقت نحو الدرب الضيق، ثم نظرت إلى ساعتها، فأيقنت أن لديها متسع من الوقت كي تبلغ منزل براد قبل الساعة الحادية عشرة.

ما إن انقضت خمس دقائق حتى ألفت نفسها بعيدة عن البلدة وقريبة من المنعطف الذي يفضي إلى الجبل. وفيما كانت تمر بسيارتها، رأت السيدة غلاغيرز العجوز تلوح بيدها، فسرت هاريت إذ لاحظت أنها كانت تبدو بصحة جيدة، فتحرم ابن اخيها السافل من الميراث الذي لا يستحقه وإن لفترة وجيزة.

أسدلت زجاج النافذة وردت إليها التحية، لكنها ما لبثت أن أغلقته ثانية حينما هب هواء وبعثر شعرها.

راحت تفكر حينما أوقفت السيارة عند تقاطع الطرق التالي أن الربيع لن يحل قريباً. ترى متى عساها تنعم بالشمس الدافئة وتستنشق النسيم العليل؟

ما لبثت أن اعرضت عن التفكير بالطقس وركزت على الطريق الوعر الذي يفضي إلى ميست ماونتن. لقد كان أكثر رداءة مما توقعت، كأنه درب ضيق كانت تسلكه العجول في الأيام الغابرة. كان أحد جانبيه مزنراً بالأشجار الضخمة، أما الجانب الآخر فكان يشرف على هاوية سحيقة نثرت فيها أشجار باسقة كثة تخفف من روع الناظر إليها. إلا أن هاريت لم تكن تخشى أن تطالعها سيارة أخرى لأن الطريق كان مسدوداً إذ أنه يؤدي إلى بعض المنازل الخاصة.

مع ذلك، شعرت هاريت بالارتياح حينما بلغت السهل الواقع في أعلى المنحدر، ثم انعطفت بسيارتها لتسلك الطريق الخاص الذي يفضي إلى منزل براد.

liilas.com/vb3

لم تكن هناك بوابة إلى الممر الداخلي، فلا ريب في أن زائراً لم يألف المنطقة كان ليتجاوزه لا محال. إلا أن هاريت كانت تعرف المكان حق المعرفة، إذ إن مالكي هذه المزرعة الخاصة كانا والديْ رفيقتها في المدرسة.

ما إن انتقل هؤلاء إلى مكان آخر حتى ابتاعتها فرقة غريبة، ومكث فيها أعضاؤها على أنهم جمعية متحدة. وقد سرت شائعات تقول انهم كانوا يقيمون هناك شعائر غريبة. ربما كانت هذه الأخبار تكهنات غير صحيحة، لكن المجتمع التقليدي لم يحزن حينما قبضَ على زعيم الفرقة، لقيامه بزرع نبات الماريجوانا، فما لبثت المزرعة أن وضعت برسم البيع.

ولكن ألا يزال المكان موحشا؟ أحالت هاريت طرفها على التلال المتموجة وقد ساورها الخوف. كان العشب البري يكسو كل زاوية وكل ناحية وكان السياج متداعياً. لا ريب في أن تكاليف الترميم لن تثقل كاهل براد، فلديه من المال الكثير الكثير.

كانت الطريق منعطفة في إحدى النواحي التي تفضي إلى ممر سالك صعوداً يتجلى المنزل في آخر مطافه، ذاك المنزل المشرف على إحدى الروابي على بعد أميال قليلة.

لقد كان عبارة عن مزرعة مبنية على الطراز الأوسترالي التقليدي، تكسوها قطع خشبية مستطيلة الشكل ويعلوها سقف مطلي بالقار وتزينها نوافذ ضيقة وشرفات واسعة من الجهات كلها.

كانت هاريت تعرف أن المنزل منقسم إلى قسمين يفصلهما ممر طويل يربط الواجهة بالأخرى، ممر يدخل

عبره النسيم ليبعث بعضاً من البرودة في الداخل، وتتفرع منه الأبواب المؤدية إلى الغرف الواقعة على الجانبين، فهناك غرف النوم أولاً، ثم غرف الجلوس وصولاً إلى المطبخ البسيط. كانت الخطوط المرتسمة على الأرض هي نفسها في الغرف جميعها.

كان ينتظرها على الشرفة وهو جالس على كرسي هزاز قديم، فتخاله جالساً هناك منذ الأزل بلحيته النامية وبنطاله الباهت اللون وقميصه القديم، فكل ذلك أضفى عليه صورة الرجل الريفي، زد عليها قامته الطويلة وكتفيه العريضتين. كان يبدو حطاباً وليس كاتباً.

لم ينهض فيما أوقفت سيارتها أمام المنزل، فتنهدت تنهداً عميقاً إذ لاحظت عدم اكتراثه لوصولها، فتمتمت بصوت خافت: «يا لهيامه بي يا أماه!»

لكن الغريب في الأمر أن هذا التصرف جعلها تطمئن أن استنتجاتها عن براد أكيدة، فهي لن تغفر له أبداً إن أزعجها واستغل وحدتها المؤقتة ومللها المطلق، فإن تصرفاً كهذا يعني أنه يشبه أبطال رواياته الذين يستغلون النساء، غير حافلين بالاعتناء بهن. إلا أن هاريت كانت صعبة المنال، فالظروف السيئة التي مرت بها في حياتها لم تثنها عن الإصرار على أنها ترغب في الحب.

أومأ لها ولوح بيده حينما ترجلت من السيارة، لكنه ظل جالساً مكانه ويهز بكرسيه. انحنت وأخذت أوراقها الموضوعة على المقعد وهي تدرك أنها كانت تبدو بمظهر أنيق، إلا أنها لم تتخيل ولو لبرهة أن مظهرها وهي ترتدي بنطالاً سوف يسرع نبضات قلب هذا البطل. كانت تعرف حق

lilas.com/vb3
نور

المعرفة أي مظهر يعجبه، ذاك الذي يصفه وصفاً دقيقاً في رواياته والذي يختلف كل الاختلاف عن مظهرها الصبياني.

انتصبت هاريت وهي تضم الملف الكبير إلى سترتها الزرقاء، ثم أدركت فجأة أن قلبها يخفق في صدرها. من الغباء أن تفكر برواياته العاطفية التي تستقطب ذهن القارىء، إلا أن هاريت كانت جديرة بكل إعجاب إذ تمكنت من النظر إلى كاتب تلك الروايات العاطفية وتبتسم له بسمة الصديق إلى صديقه.

صاحت من المكان الذي كانت واقفة فيه قائلة:

«تبدو أنت والكرسي وكأنكما صديقين قديمين.»

وإذ به يرميها بابتسامته الفاتنة فيخفق قلبها بشدة.

كانت تشعر بعينيه مسمرتين فيها وهي تسير نحو أدراج السلم، وما لبثت أن أحست بأن وجنتيها مخضبتان. وإذ أزعجها هذا الشعور، حاولت أن تثبت خطواتها فرفعت ذقنها وردت شعرها إلى الوراء وكأنها تتحدى ما في نفسها من غباء.

استحالت ابتسامته ضحكة ما إن رآها تتجه نحو الشرفة، فأشار إلى ساعته وقال:

«لقد تأخرت دقيقتين. سوف اضطر إلى معاقبتك واستبقائك بعد انتهاء دوام المدرسة.»

كان عليها أن تضحك، فإن فكرة استبقائها كانت فكرة حسنة، وليس عقاباً،وهو على يقين من ذلك!

قالت بصوت عذب وهادىء:

«ألا تسمح لي بأن اكتب مئة مرة أنني لن أتأخر ثانية يا أستاذ؟»

تظاهر بأنه ينظر في طلبها، فقال:

«ربما أطلقت سراحك كاملاً إن تصرفت تصرفاً حسناً خلال النهار. لكن عليك أن تقطعي على نفسك وعداً بأن تطيعي اوامري.»

«حسناً يا استاذ، طبعاً يا أستاذ.»

نهض نهوضاً مفاجئاً فراح الكرسي يهز هزاً مجنوناً، تماماً مثل نبضات قلبها. نظرت هاريت إلى القدمين الثابتتين وهما تتجهان نحوها، وإذ بصوت في داخلها يحذرها قائلاً:

احترسي يا فتاة! لا تخدعي نفسك!

مد يده وقال:

«أهذه هي تحفتك؟»

ابتلعت ريقها وقد نسيت نصها المسرحي لبعض الوقت، ثم ناولته إياه مترددة، فأخذ الملف ونظر إلى عدد اوراقه الكبير أولاً ثم رمقها بنظرة من يراعي مشاعر غيره وقال:

«هل تضايقك فكرة قراءتي إياه؟»

قالت وهي تضحك ضحكة التمويه:

«طبعاً.»

كان ذكاؤه الفطري المرتسم في عينيه الغائرتين يولد فيها التشنج. سألها:

«لماذا؟ ألأنك تظنين بأن النص قد يكون رديئاً، أم الأسلوب أو لأنك تسردين فيه سيرتك الذاتية؟»

حاولت أن تكتم دهشتها، فافترت شفتاها. صحيح أن القصة لم تكن تروي حياتها الخاصة بشكل جلي، إلا أنها كانت تتضمن احداثاً مشابهة، وان افكار بطلتها ومشاعرها

liilas.com/vb3
نور

كانت مماثلة لأفكارها ولمشاعرها هي. لقد كان هذا هو السبب الرئيسي الذي حال دون أن تدع والديها يقرآنها.

فقال لها والبسمة ترتسم في عينيه:

«لست مضطرة إلى الإجابة عن هذا السؤال، فالجواب بادٍ على وجهك. لا تقلقي، فأنا خير حافظ لأسرارك، أنا لا أدين أحداً ولا أبغي الثرثرة. يا عزيزتي هاريت، أنا لن أتفوه بكلمة حتى إن علمت أنك قد تكونين لعوباً من الدرجة الأولى.»

فردت عليه بنبرة جافة:

«إنك تطمئنني.»

وإذ بأمارات الصدمة تعلو وجهه، فقال لها:

«حسناً! أنت لست لعوباً، أليس كذلك؟»

انتابها شعور فيه شيء من الدعابة حينما تصورت أن فكرة مماثلة قد تخطر على باله، فقالت بجدية وهي تحاول أن تكتم ضحكة على وشك أن تطلقها:

«عليك أن تقرأ المسرحية وتكتشف الحقيقة بنفسك. قل لي الآن، أين وضعت الكتب التي يفترض عليّ ترتيبها؟»

سارت نحو ردهة المدخل وهي تكاد لا تكتم ضحكتها حينما رأت وجهه الذي بدلته الصدمة تبديلاً مثيراً للضحك، فقالت له:

«هيا يا سيد بارينغتون، قد يكون لك متسع من الوقت أما أنا، فلا. إني انتظر زبوناً مميزاً هذا المساء.»

فقال وهو يطرف بعينيه الزرقاوين الواسعتين:

«زبون؟»

من الصعب أن يتصور شخص ما أن شخصاً آخر قد

يصاب بصدمة إزاء الدرس الخاص الذي تعطيه هاريت كل مساء أحد إلى صبي مصاب بالتأتأة، إلا أن هذه الأخيرة قالت بكل صدق:

«أجل، إنه شاب أراه كل اسبوع. لقد أتاني منذ شهرين تقريباً وطرح عليّ مشكلته الدقيقة. لقد بدا خجولاً ومرتبكاً لكنني هدأت من روعه، وقلت له إنها ستحل بالصبر وبالإرشاد الصحيح.»

وإذ بها تعجز عن كتمان ضحكتها فتطلقها عالية رنانة.

فقال لها موبخاً والضحكة تعلو ثغره الجذاب:

«من يصدق أن الفتاة الحساسة التي التقيتها بالأمس محتالة إلى هذا الحد؟»

فضحكت هي أيضاً وقالت:

«لم أكن أكذب. أنا انتظر تلميذاً سيأتي إليّ هذا المساء ليتعلم درساً في القراءة. إنه مصاب بالتأتأة.»

«هم... أمتأكدة أنت من أن هذا هو السبب الوحيد لمجيئه؟ كم يبلغ تلميذك هذا من العمر؟»

«الثامنة عشرة.»

«بعض الفتيان يصبح رجلاً في سن الثامنة عشرة. احترسي.»

نظرت إليه مندهشة. يا للغرابة! لقد كان يبدو غيوراً!

لكنه ما لبث أن ضحك ضحكة عريضة، فأدركت أنه لعب لعبتها، ثم قال:

«كفانا لهواً. هيا! اتجهي نحو الممر وادخلي الباب الثالث يساراً.»

سارت وهي تضحك وتقول في نفسها، إن كان يراد

liilas.com/vb3
نور

بارينغتون نذلاً، فهو لا شك أجمل وألطف رجل التقته منذ زمن بعيد.

أحست بالتعب بعدما أمضت ساعتين وهي تفرغ عشرة صناديق ملأى بالكتب. فتنهدت وسألته وهي تضع قاموساً ضخماً على الرف:

«كم كتاباً لديك؟»

انتهى براد من إزالة الشريط اللاصق عن صندوق آخر، ثم رفع إليها ناظريه وهز بكتفيه وقال: «الكثير على ما يبدو. كنت على وشك أن أبيع بعضاً من هذه الكتب إلى مكتبة تشتري الكتب المستعملة قبل أن انتقل إلى هنا، لكنني لم أتمكن من فرزها، وفي النهاية أحضرت مزيداً من الرفوف وجلبت الكتب كلها معي.»

أجالت هاريت طرفها في الغرفة التي من شأنها أن تكون فسيحة لولا كثرة الرفوف فيها. كانت هناك تسع مكتبات مختلفة الأحجام، ثلاث منها مؤلفة من رفوف عريضة علقت على طول الحائط الخالي، واثنان مؤلفتان من رفوف أصغر قياساً علقتا على جانبي الباب الزجاجي الذي يؤدي إلى الشرفة بمحاذاة الموقد. أما الفسحة المخصصة للأثاث، فكانت مواجهة للموقد، وقد صممها براد على شكل نصف دائرة فيها ثلاثة كراسي قديمة العهد، ومصباحان مركزان على قاعدة طويلة وطاولتان وسجادة كثة الصوف، فبدت الغرفة غرفة صالحة للقراءة فقط وليس للمجالسة أياً كان نوعها.

لكن من الواضح أن براد جعل منها غرفة جلوس، وحوّل غرفة الطعام إلى مكتب وضعت فيه طاولات وخزانات

خاصة لاحتواء الملفات، وأجهزة الكمبيوتر، وحينما سألته هاريت عن ذلك قال: «سوف أتناول الطعام في المطبخ، وأحول إحدى الغرف الرئيسية إلى غرفة طعام إن دعت الحاجة.»

كانت هاريت تذكر أن المنزل مؤلف من أربع غرف نوم تقع في أوله، ومنها اثنتان واقعتان على جانبي الممر بمحاذاة باب المدخل. أما الحمام الوحيد فكان يقع بين غرفتي النوم الصغيرتين، وكانت أدواته الصحية القديمة تشهد على ماض حافل بالذكريات... ذكريات لم تتكلم عليها هاريت إذ تذكرت ما قالته أمها عن صراحتها اللاذعة.

وقال لها براد بعدما أخرج نسخة من الصندوق الذي فتحه لتوه وناولها إياها:

«هذه نسخة عن روايتي الجديدة.»

نظرت إلى الغلاف الذي رسمت عليه فتاة جالسة على الشاطىء الذهبي تتجلى من ورائها ناطحات السحاب في الأفق البعيد الذي يعانق زرقة البحر... من النادر أن يثير رسم مماثل استياء الناظر إليه، لكن هاريت رأت أمارات الجانبية البادية على وجه الفتاة الشقراء صارخة... عينان مغمضتان جزئياً وشفتان مفترتان... لم تقوَ على كتمان صيحة الاستياء من هذا الرسم. فقال لها: «رسم جريء، أليس كذلك؟»

نظرت إليه فإذا به يرمقها بنظرة كئيبة أحزنت عينيه الضاحكتين. هل كان هذا الرسم يزعجه فعلاً؟

قالت له بهدوء ولكن من دون اقتناع: «كلا، كلا.»

«كوني صادقة يا هاريت. ألا تظنين أنه جريء؟»

lilas.com/vb3 نور

«أجل، قليلاً.»

أما تنهده فكان تنهد غيظ، فدمدم عليها وهو يخرج من الصندوق كتباً أخرى بحركة غاضبة: «أنا لم أتوخ ذلك، لكن... تعرفين الناشرين.»

«كلا، من الواضح أنني لا أعرفهم حق المعرفة.»

رفع ذقنه وحدق إليها وقال: «أنت حقاً فريدة يا هاريت، هل تعلمين ذلك؟ فأنت تعبرين عما تفكرين به بصدق قل مثيله.»

أطرقت هاريت عينيها. لقد أربكها أن يؤثر عليها إطراؤه هذا التأثير البالغ، فتمتمت محاولة أن تنشغل ببعض الكتب:

«بعض الناس يسخرون ويتألمون من هذه الصفة التي اتحلى بها.»

«تباً لهم! أنا لا أحتمل امثال هؤلاء الناس الخبثاء والممالقين.»

فأجابته وهي تنفض الغبار عن أحد الغلافات: «وأنا أيضاً.»

لم تسمع منه هاريت أي ردٍ، فرفعت إليه ناظريها، فأدهشها رؤيته وهو يحدق إليها بنظرة غريبة، وما لبثت أن استشفت فيها ومضة ألم، فسألته: «براد؟ هل أنت على مايرام؟ براد؟ ما الأمر؟»

طرف بعينيه ثم تنهد تنهداً عميقاً حاول أن يبتسم فانثنت زاويتا فمه، إلا أن محاولته باءت بالفشل، فقال:

«أنا بخير... لقد أحسست فجاة بانقباض في صدري.»

فسألته بقلق: «هل تعاني من مرض في قلبك؟»

وإذ بومضة الألم تلك تلوح ثانية في عينيه بالرغم من أنه

كان لايزال يبتسم، فقال مازحاً: «في سني؟ إنه انقباض أشبه بعسر الهضم، وهو يذكرني بأن الوقت حان كي يتناول العاملان الماهران الطعام. هل ترغبين في تناول الحساء أو الفطائر أو السندويتشات المحمصة؟»

فتمتمت من دون سابق تفكير:

«أفضل تناول الحساء والخبز المحمص.»

«هذا ما أرغب فيه تماماً. هيا، تعالي، إتبعيني.»

ظلت واقفة هناك تنظر إليه وهو يغادر الغرفة، والدهشة لا تنفك تستحوذ عليها. هل نفى براد نفسه في الريف لأنه يعاني مشكلة صحية خطيرة؟ قد يكون ذلك ممكناً، إلا أن هاريت ما لبثت أن هزت برأسها، محاولة أن تقنع نفسها بأنها متشائمة مرة ثانية، فهو يبدو بصحة جيدة.

كلا... إنه عسر هضم، كما قال. قالت ذلك لنفسها وهي تغادر الغرفة.

إلا أن الشك ما لبث أن ساورها مجدداً حينما رأت وجهه العابس القاتم.

lilas.com/vb3 نور

الفصل الرابع

تناهى إلى مسمع هاريت وهي ترتشف آخر ملعقة من حساء الدجاج، صوت خافت ومخنوق من تحت الطاولة.

انحنت وحدّقت إلى الأسفل ثم انتصبت وسألت براد الذي كان يلتزم الصمت على غير عادته في أثناء الغداء: «هل سمعت؟»

«سمعت ماذا؟»

عقدت حاجبيها وقالت: «لا أدري، ظننت أن هناك فأرة.»

«ربما، فقد اضطررت إلى نصب فخوخ للفئران في خزانة المؤن.»

ألقت هاريت نظرة خاطفة نحو الغرفة المجاورة للمطبخ، لكنها أدركت أن الصوت لم يأتِ من هناك، فهزت بكتفيها هزة لا مبالاة، فهي بنت جبل لا تخشى الفئران.

وما لبثت أن سمعت الصوت مجدداً. إنه صوت خافت يثير الشفقة تناهى هذه المرة إلى مسمع براد، فقالا معاً: «هررة!»

سألت هاريت: «في أسفل المنزل؟»

«إنها لا شك صغار الهر العجوز المسكين الذي سحقته بالأمس، حينما مرّ تحت دواليب السيارة وأنا عائد إلى المنزل. لقد طمرته تحت الأجمة، لكن لم يخطر على بالي أنه قد تكون هناك هررة.»

فتمتمت هاريت وقد اعتصر قلبها شفقة: «لا بد من أنها جائعة، مسكينة هي تلك الهررة...»

lilas.com/vb3
نور

أما براد فتنهد وقال: «أظنك تريدين أن أنزل إلى الأسفل وأحملها إلى هنا.»

قالت له آملة أن يستجيب طلبها: «هلا نزلت؟»

ارتسمت على وجهه امارات التذمر والانصياع في آن معاً، فقال وهو يزيح كرسيه إلى الوراء وينتصب على قدميه: «هيا إلى النجدة.»

وجد براد وهاريت أربع هررة جائعة، قل انها كتل من عظم ووبر، ثلاثة منها رقطاء وهر واحد أبيض اللون وأصغر حجماً. حملاها إلى الداخل ووضعها براد في علبة أحذية فارغة وغطاها بسترة بالية.

سألته هاريت: «هل لديك قطارة للعين؟ إن الهررة صغيرة جداً، لا يسعها لعق الحليب، فهي لا تزال مغمضة العينين.»

هز براد رأسه وقال: «عفواً، ألا يمكننا أن نودعها لدى أحد فروع جمعية الرفق بالحيوان؟»

قالت له هاريت: «ليس من أي فرع لهذه الجمعية في الجوار، والطبيب البيطري المحلي ليس من النوع الذي يرغب في أن يعتني بهررة يتيمة. لقد تقدمت به السن، فلا ريب في أنه سيطرح الهررة جانباً. ربما يجدر بي أن آخذها إلى المنزل، لكن أمي تكره الهررة وهي لن تسمح لي باستبقائها لأنها تخشى أن تخدش الهررة خشب الأثاث.»

«هذا صحيح.»

قالت له هاريت: «لا تتذمر أنت أيضاً. على الإنسان أن يأخذ على عاتقه مسؤولية الدفاع عن مثل هذه الكائنات الضعيفة والمسكينة، وألا يغض النظر عن الاعتناء بها. كم أنت قاسي القلب!»

«حسناً، لا تغضبي! اعرضي علي اقتراحاً فأنفذه.»

«اذهب إلى الصيدلية واشتر قطارة للعين وطعاماً خاصاً للأطفال. لكن هذا حل مؤقت. إن هذه الهررة في حاجة إلى من يطعمها كلما انقضت بضع ساعات. لا يسعني القيام بهذه المهمة لأنني مضطرة إلى استئناف عملي في المدرسة غداً.»

نظرت إلى براد نظرة من يلتمس طلباً هاماً، فهز برأسه هزاً قوياً وقال: «لا وألف لا! أنا مستعد للمساعدة ولكن لن آخذ الأمر على عاتقي، فأنا أنتقل إلى عالم آخر أمضي فيه ساعات وساعات وأنا أكتب، وقد تنفق هذه الهررة ريثما أعود إلى الواقع، فأضطر إلى احتمال نظرات عينيك البنيتين اللتين سترمقانني كما لو كنت مجرماً سفاحاً! كلا يا عزيزتي هاريت، ينبغي عليك إيجاد حل آخر.»

وإذا بخاطر يساورها فصاحت قائلة: «وجدت الحل! السيدة غلاغيرز!»

«السيدة غلاغيرز! من هي السيدة غلاغيرز؟»

«إنها امرأة عجوز تعيش وحيدة، وهي مولعة بالهررة سوف تعتني بها أفضل اعتناء إلى أن نجد لها ملجأ آخر.»

حملت هاريت الهر الأبيض الخجول ووضعته على وجنتها برقة: «علينا أن نجد لك مكاناً خاصاً، أليس كذلك يا صغيري؟»

اعتلت وجه براد امارات الاستياء والاشمئزاز فقال: «هيا بنا. آمل أن تكون السيدة غلاغيرز في منزلها.»

«طبعاً، لقد رأيتها هذا الصباح وأنا في طريقي إلى هنا.»

فعرض عليها قائلاً: «سوف نستقل سيارتي، هيا بنا.»

لم تكن السيدة غلاغيرز في منزلها فحسب، بل كانت مسرورة لرؤية الهررة والزائرين، فطرحت عليها هاريت السؤال نفسه الذي طرحته على براد حينما جلس الثلاثة في ردهة الاستقبال المزينة بستائر مزركشة وبكراسٍ منجدة بقماش مطرز: «هل لديك قطارة للعين؟»

فأجابتها المرأة العجوز: «لدي أفضل من ذلك.»

ثم تركتهما لبرهة وعادت وهي تمسك رضاعة صغيرة كأنها مصمّمة للدمى، وقالت بفخر والبسمة تشرق وجهها الرحب: «سبق لي أن اعتنيت بصغار الهررة. لقد مرّت على ذلك سنوات طوال، لكنني لا أحسبني فقدت الموهبة. لا داعي للقلق يا هاريت أنت وعريسك الشاب.»

فقاطعتها هاريت بارتباك: «أوه... ليس...»

أدارت السيدة غلاغيرز نحو براد وجهاً ملؤه الفضول، فقال لها هذا الأخير: «أنا مجرّد صديق. لقد رحب بي والدا هاريت حينما انتقلت لأعيش في فاليز إند منذ يومين. أنا من اشترى المزرعة القديمة في ميست ماونتن.»

«آه... ذاك الكاتب.»

لم يخف براد دهشته، فضحكت هاريت وقالت: «هل تظن حقاً أنك قادر على ابقاء شيء في السر هنا؟»

«كلا، ليس من الآن فصاعداً.»

راحت الهررة تموء داخل العلبة، فقالت السيدة غلاغيرز: «علي أن أدعوكما إلى ارتشاف الشاي، لكن، كما تريان، من المفترض أن أباشر إطعام هذه الحيوانات الصغيرة الجائعة. لا تنسيا أن تمرا بي بعد بضعة أيام للاطمئنان على حال الهررة.»

رافقتهما إلى باب المدخل ثم قالت لبراد: «ألن تأخذ معك أحداً منها أيها الشاب؟ لا بد من أنك ستحتاج إلى رفيق في ذلك الجبل المنعزل.»

«حسناً، سوف...»

فقاطعته هاريت قائلة: «إنه يرغب في أخذ الهر الأبيض.»

ثم التقطت أنفاسها وهي تنتظر نفيه، إلا ان براد ابتسم لها ابتسامة الانصياع وكرر وهو يومىء برأسه: «الهر الأبيض.»

التزم براد الصمت وهما في طريق العودة إلى الجبل، فاعترى هاريت شعور قوي بالذنب، فقالت له حينما انعطفت سيارته تاركة الطريق الوعر وسالكة الدرب الأقل خطورة: «آسفة ان احرجتك. أعرف انه لم يجدر بي ذلك.»

رمقها بطرف عينه، والتقت ابتسامته المطمئنة بعينيها القلقتين، ثم قال لها بلهجة ملؤها اللوم ولكن بلطف: «كنت تبغين لي خيراً، على أية حال، لمن سيكون هذا الهر؟ لي أنا أو لك أنت بالوكالة؟»

«لا! إنه لك أنت.»

«حسناً. سوف أطلق عليه اسم بريدجيت.»

«كيف علمت أنه أنثى؟»

رمقها بنظرة ساخرة وقال: «ثقي بي. إنها هرة.»

«حسناً، ولم اخترت لها اسم بريدجيت؟»

فأجابها إجابة ملؤها اللغز: «سوف تعرفين السبب عندما تقرأين هاي رايز.»

قطبت هاريت حاجبيها إذ ان كلامه هذا نكّرها أنه سيقرأ مسرحيتها قريباً، وإذ بها ترفض ذلك، ترفض ان يستشف الواقع من الخيال.

كان لديها انطباع بأنه يعتبرها فتاة مميزة وواثقة من نفسها، تختلف كل الاختلاف عن تلك البطلة الوحيدة التي تسكنها الشكوك والهواجس، والتي نسجها خيالها عبر الصفحات.

وإذ أيقنت هاريت أنه من الصعب الحؤول دون قراءة هذه الصفحات، حاولت أن تقول له كلاماً يحول دون اكتشافه وجه الشبه بينها وبين تلك البطلة: «أريدك أن تعلم يا براد أن مسرحيتي لا تسرد سيرتي الذاتية، مع أنها ترتكز على أفكار استقيتها من تجربتي في الحياة. إن قصة بطلتي التي تدعى هنريتا مطابقة لقصة فتاة عرفتها في الجامعة. لقد أبديت بعض التشنج لأنني خشيت أن تحسب النص مكتوباً بأسلوب غير متقن.»

أدار براد محرك السيارة ثم رمقها بنظرة ثاقبة. كان الهدوء يخيم عليهما، فأدركت هاريت حينئذ كم كانت المسافة التي تفصلها عنه قريبة.

كانت عيناها مسمرتين على وجهه حينما قال لها بفظاظة مفاجئة: «هل تريدين معرفة الحقيقة يا هاريت؟»

طرفت بعينيها ونظرت إليه، فإذا به يحدق إليها: «أي حقيقة؟»

«في ما يتعلق بمسرحيتك... هل تريدين أن أقول لك الحقيقة بعد قراءتي إياها، فأخبرك ان أعجبني الأسلوب والمضمون أم لم يعجباني، وإلا لا داعي لأن أطلع عليها.»

كان صوته جافاً، لا بل معادياً، وتابع قائلاً: «لن أثني عليها عاطر الثناء مراعاة لشعورك، وإلا أكون قد أضعت وقتي ووقتك.»

liilas.com/vb3 نور

ابتلعت ريقها وهي تتذكر أنها معجبة بصراحته. أما الآن وقد أصبحت هي نفسها موضع هذه الصراحة، فكان من الصعب تقبلها.

قالت له بصوت عال وكأنها تريد اقناع نفسها: «أريدك أن تكون صادقاً معي.»

لم تكن تدري أن فظاظته غير المتوقعة جعلتها منقبضة الأسارير، فأضاف براد وهو يبتسم لها ابتسامة رقيقة: «لن أكون قاسياً. سوف أقول لك الحقيقة بلطف ناجم عن بعض التفهم. سيكون نقدي بناءً وليس مدمراً. سيكون عادلاً.»

أظهرت ابتسامتها بعض الارتياح، فقالت: «عادلا؟»

«حسناً يا هاريت. إنها الساعة الرابعة تقريباً. أظن انك ترغبين في العودة باكراً إلى المنزل، لأن ذاك الصبي سيأتي إليك هذا المساء ليتلقن درسه.»

حاولت هاريت أن تكتم خيبة الأمل التي اعترتها لدى شعورها بانه تخلص منها بهذه السرعة. ولكن ماذا كانت تتوقع؟ هل كانت تتوقع أن يعودا إلى منزله وأن يصر عليها ويستقبلها لتناول العشاء ويتوسلها كي تلغي موعد الدرس؟

وإذ بالكلام الذي قاله براد للسيدة غلاغيرز يترجع في ذهنها صدى موجعاً: أنا مجرد صديق... لقد رحب بي والدا هاريت...

يا لك من غبية يا هاريت!

قالت من دون أن تظهر أي اضطراب: «أجل، من الأفضل أن أعود.»

سحب براد المفاتيح من قفل السيارة ووضعها في جيب قميصه وقال لها: «أشكرك على مساعدتي في ترتيب الكتب.»

«لا شكر على واجب.»

«سوف أنصرف إلى قراءة مسرحيتك خلال هذا الأسبوع، وسوف أتصل بك لاحقاً، اتفقنا؟»

«اتفقنا.»

هذا كل ما في الأمر، اتصال هاتفي واحد، فقط لا غير.

هذا أمر منطقي إن فكرنا فيه ملياً.

وإذ بهما يلتزمان الصمت لبضع ثوان، لكن براد تكلم وهو يسوي جلسته كي تتسنى له رؤيتها عن كثب وقال: «سوف أقترح عليك اقتراحاً. ما رأيك إن لم يكن لديك التزامات أخرى، أن أصطحبك إلى العشاء نهار الجمعة المقبل؟ سوف نتمكن من مناقشة مسرحيتك في أثناء تناولنا الطعام، هذا أفضل من التحادث عبر الهاتف، فأنا أميل إلى الإسهاب في الحديث، وأشعر بألم في أذني إن وضعت عليهما السماعة أكثر من نصف ساعة. ما رأيك إذاً؟»

كان يشق عليها أن تكتم البهجة التي ملأت قلبها لدى سماعها اقتراحه، مع أن الموعد الذي ضربه لها لم يكن سوى لقاء عمل، فقالت بحذر: «بكل سرور.»

«إن أتيت لاصطحابك عند الساعة الخامسة سوف نتمكن من زيارة الهررة ومن ثم الذهاب لتناول العشاء. ما رأيك إن سلكنا الطريق الساحلي وصولاً إلى بلدة كوفز هاربور؟ لقد مكثت في أحد المنتجعات هناك لبعض الوقت خلال العام المنصرم، سوف يكون لنا الخيار في ارتياد أفضل مطعم.»

لم تمانع هاريت هذا الاقتراح أيضاً، سوف يستغرق بلوغهما كوفز هاربور ساعة على الأقل، وهذا يعني أنها

lilas.com/vb3 نور

سنحظى برفقته لمدة أطول، فأقرت له وقد عجزت عن إخفاء بسمة البهجة: «سوف أنتظر هذا اليوم.»

وإذ بوجهه ينقبض وببصره يغيم لبرهة، لكن ما لبثت أساريره أن انفرجت وقال بلطف: «وأنا أيضاً.»

وخطر على بالها مجدداً أنه قد لا يكون بخير وأنه لا يزال يشعر ببعض الألم أو ببعض الانزعاج وأنه يتخلص منها لأنه يبغي أن يلوذ بالوحدة، إلا انها ما لبثت أن أدركت أن هذه الأفكار لم تكن سوى من نسج خيالها، إذ انها تحاول أن تجد مبرراً لعدم رغبته في استبقائها لفترة أطول.

فتح الباب وترجل من السيارة وقال: «سوف أجلب لك نسخة عن روايتي.»

ما ان عاد حتى كانت هاريت قد استقلت سيارتها، فمدت يدها من النافذة المفتوحة وتناولت منه النسخة وقالت وهي تلوح له بها: «شكراً لك. آمل أن تكون مستعداً لإعطاء رأي صادق مساء الجمعة.»

«طبعاً... بما انك تتكلين على الآراء الصادقة...»

«ماذا؟»

«قولي لي ما رأيك بلحيتي.»

طرفت بعينيها ثم حدّقت إلى اللحية الخشنة. لا ريب في أن اللحية النامية نمواً كاملاً تلائم وجهه. وفيما راحت تتأمل ذقنه، إذ بها تشعر بوخز خفيف في قلبها، ففتحت عينيها وسعلت ثم ابتلعت ريقها وقالت: «احلقها.»

مرر يده على ذقنه وقال: «بكاملها؟»

«أجل، فالرجل يبدو مراوغاً إن كان له شاربان، واللحية تستر ذكاءه.»

يا لكلامك التافه يا هاريت!

عاد براد ومرر يده على لحيته وقال: «هل تقصدين بكلامك هذا أنني أبدو كرجل أحمق؟»

أجابته بنبرة جافة: «كلا. ألا تذكر؟ لقد رأيتك على التلفزيون من دون لحية، وكنت تبدو أكثر وسامة.»

إلا أنه احتج قائلاً: «لكنني أكره الحلاقة!»

فردت عليه: «وأنا أكره غسل سيارتي.»

نظر براد إلى السيارة النظيفة وقال: «هل تقصدين أنك تريدين أن أحلق لحيتي قبل مساء الجمعة؟»

«كلا، أنا أقصد بكلامي أنك تبدو أكثر وسامة من دون لحية.»

«وبما أنك صديقتي، تقولين لي ذلك بكل صراحة.»

فذكرته قائلة: «لقد طرحت علي السؤال بنفسك.»

هز رأسه بتذمر واضح وقال: «يحدثني شعور بأن معرفتي إياك سوف تضطرني إلى القيام بأفعال أمقتها، فها أنا مسؤول عن هرة وها أنا على وشك ان أحلق لحيتي، فيما أكره الهررة وأرغب في اللحية. هذا كله في يوم واحد! هل تتصرفين هذا التصرف مع كل شخص تعرفينه؟»

هزت كتفيها بخفة محاولة ألا تفلت سيطرتها على الشعور الذي كانت تكنه لهذا الرجل وألا تفقد عزيمتها، فقالت: «أظن ذلك. هكذا يتصرف المعلمون عادة. أنا آسفة. على أية حال، لا تحلق لحيتك، أما أنا فسوف أجد مأوى آخر للهرة.»

«إياك أن تفعلي! سوف اعتاد التعايش مع بريدجيت مع مرور الوقت. أفضل ذلك على أن أحتمل نظرات الاشمئزاز الواضحة في عينيك.»

lilas.com/vb3
نور

فاجأها كلامه هذا، فقالت: «متى نظرت إليك هذه النظرة؟»

انحنى إلى نافذة السيارة، فغدا وجهه قريباً من وجهها وقال: «ليتك رأيت وجهك حينما فتحت لي الباب ليلة البارحة. لو كانت النظرات لتقتل لكنت ميتاً ومدفوناً الآن.»

«كنت تبدو وكأنك أحد اللاجئين.»

ومرر يده على ذقنه ثانية وضحك ضحكة عريضة وقال: «ربما، لكن والديك لم يرف لهما جفن.»

«إن أمي سيدة مجتمع وأبي رجل أعمال.»

«هل ينطوي النصف الآخر من جملتك على بعض السخرية؟»

«ربما... هلا أخرجت رأسك الضخم من نافذتي وتركتني أعود إلى منزلي؟»

انقبضت أساريره وتراقص بريق شرير في عينيه: «يا لهذا الإطراء! النساء معظمهن يجدن رأسي جذاباً.»

نظرت إليه نظرة حادة وقالت: «لست من معظم النساء.»

قالت له ذلك وقد انتابها شعور بالكراهية إزاء هذا الانجذاب الذي مارسه عليها بالأمس. كانت تؤثر تصرف الصديق مع صديقه الذي تصرفه معها خلال النهار، فهو على الأقل تصرف صادق.

انطلقت بالسيارة فسمعته يناديها ويقول: «إلى اللقاء في الساعة الخامسة، نهار الجمعة.»

لوحت له بيدها وقد عقدت العزم على ألا تنظر إليه عبر المرآة.

كانت الساعة الموضوعة إلى جانب هاريت تشير إلى

الثالثة فجراً. كانت لا تزال مستيقظة وبين يديها نسخة عن هاي رايز. لا ريب في أنها ستشعر بالإرهاق غداً في المدرسة، لكنها كانت عاجزة عن الخلود إلى النوم الآن. كان عليها أن تكمل القراءة، فالرواية، بكل بساطة، مذهلة. لم تتضمن القصة عقدة فحسب، بل عمقاً في تصوير الأشخاص والوقائع.

وضعت هاريت أخيراً الكتاب جانباً قرابة الساعة الرابعة، بعدما أيقنت أنه من المستحيل إنهاء قراءة الصفحات الستمائة المتبقية هذه الليلة. كان يشق عليها النوم وذهنها حافل بشخصيات هذه الصفحات وحياتها وعواطفها ونزاعاتها.

كان البطل الرئيسي ألطف من سائر الأبطال الذين اجترحتهم مخيلة براد. لقد كان صاحب ضمير حيّ أماط اللثام من دون تعمد عن عالم الجرائم الذي كان يضج خلف أحد أسوار الشاطىء الذهبي. وقد تأثرت هاريت خاصة بالعلاقة التي نشأت بين البطل وبريدجيت، وهي فتاة خيالية أتى بها من الشارع أمضت حياتها وهي ترتدي أسمالاً بالية وعمرها لم يتجاوز الخامسة عشرة.

كان البطل قد استضافها رغماً عنه، إذ كان ينظر إليها بعين الشفقة، وكان من الطبيعي أن تقع الفتاة في غرام الشخص الذي مد لها يد العون، وفيما بدأ هذا الأخير يرغب فيها، شعر بأنها ما زالت شابة وبأنها لا تكن له إلا الامتنان.

لم تكن قصة الغرام هذه سوى حلقة من السلسلة التي تؤلف الرواية، إلا ان هاريت كانت تعتبرها مؤثرة جداً، إذ انها تكشف النقاب عن جانب من شخصية براد الكاتب الذي

liilas.com/vb3
نور

ما زال خفياً إلى الآن. لقد اكتشفت فيه هاريت الرجل المتمكن عن التعبير عن مشاعر عميقة.

راحت هاريت تتململ في فراشها ناشدة بعض النعاس، لكن هذا الرجل كان يستقطب أفكارها استقطاباً غريباً. كانت تعتبره رجلاً غير مبال يعيش حياته كما تمخر السفينة عباب البحر، كانت تعتبره رجلاً تافهاً.

كانت تعتبره كذلك قبل أن تقرأ روايته الأخيرة. أما الآن، فراحت تتساءل عن مدى حقيقة اعتبارها. ترى من يكون هذا الرجل اللطيف؟

تنهدت حينما طرق النعاس باب ذهنها محاولاً تشتيت أفكارها، لكن السؤال نفسه كان يلح عليها: تراه من يكون؟ ترى ماذا يكون تأثيره على حياتها؟

lilas.com/vb3
نور

الفصل الخامس

«إنه جرس الباب يا هاريت، هل أفتح؟»

أمسكت هاريت سترتها السوداء المصنوعة من الجلد وخرجت من غرفتها بسرعة البرق.

«كلا، كلا، سأفتح الباب بنفسي.»

كانت تقول ذلك وهي تعدو في الممر وخصل شعرها المبللة تتراقص حول عنقها. راحت تتخيل أمها وهي تدور حول براد وتشيد له بمنافع الاستقرار في مكان كفاليز إند إلى جانب الزوجة المناسبة.

لا ريب في أن هذا العشاء أذكى أمل أمها، فجوليا لم تكف عن التكهن مذ اعترفت لها هاريت إلى أين هي ذاهبة وبرفقة من، مع أنها أرجأت اعترافها هذا إلى رجوعها من المدرسة اليوم الجمعة.

عجيب كم كان خيال أمها خصباً! لم تمض ساعة على اعترافها حتى أصبحت وبراد على وشك الخطبة!

فنادتها أمها من دون أن تراها قائلة: «أرجو أن تستمتعي بوقتك يا عزيزتي.»

كان صوتها يتناهى من المطبخ، فهي لم تأت إلى غرفة الجلوس لتتجسس على ابنتها. هل كان تصرفها هذا بمثابة الخدعة أو أنه انسحاب مقصود؟

تنهدت هاريت وأجابتها ببعض الكلمات. وفيما كانت تدنو من باب المدخل شعرت بالألم يعتصر معدتها. كانت

تشعر أيضاً بالتشنج والاضطراب لأنها على وشك أن تسمع رأيه بمسرحيتها.

فتحت الباب وألقت نظرة خاطفة على براد، فما لبثت أن أدركت أن سماع رأيه لم يكن سبب اضطرابها الوحيد. تنهدت تنهداً عميقاً وابتسمت، إلا ان التنهد والابتسام لم يحولا دون تسارع نبضات قلبها. لا بد من أن رغبتها في أن يحلق لحيته أربكتها أيضاً. كان يبدو انيقاً بثيابه القديمة وبلحيته النامية. أما الآن وقد حلق لحيته وارتدى بنطالاً من الكتان لونه ضارب إلى الصفرة وقميصاً بنياً وسترة أنيقة، فكان يبدو رائعاً. وكان شعره نظيفاً ومصففاً، مما أضاف إليه مزيداً من الرونق.

وأدركت هاريت بارتباك أنها ما زالت تحدق إليه، فلجأت إلى المزاح قبل أن تعلو الحمرة وجنتيها، وضحكت ضحكة عريضة، ولوحت بيدها كما لو كانت تثني على مظهره وقالت: «وأخيراً أخرجت ثيابك الأنيقة من الحقائب.»

رد عليها بضحكة مماثلة، وراح يرنو إلى وجهها بعينين زرقاوين غائرتين وقال: «قد أقول لك الكلام نفسه.»

أحست مجدداً بالارتباك لدى رؤيتها نظرات الإعجاب المرتسمة في عينيه. لقد بذلت جهدها كي تبدو أنيقة، إلا انها كانت تعتبر مظهرها مقبولاً، لا أكثر، مع أن والدتها أشادت باختيارها ثيابها. كانت ترتدي قميص صوف أسود وتنورة وسترة أنيقة أجمل من سائر ستراتها. أما تنورتها فكانت تصل إلى كاحلها، وكانت سترتها تربط حول خصرها فتكشف قدها الممشوق.

lilas.com/vb3
نور

كانت عينا براد مسمرتين على القميص الذي اختارته هاريت خصيصاً هذا المساء. لو كانت قامتها أكثر سمنة، لبدت هاريت فاتنة، إلا ان هذه الأخيرة كانت تدرك أنها كانت تبدو حسنة المظهر وإن لم تكن فاتنة.

من الواضح ان براد كان يشاطرها رأيها، فراح قلبها يخفق، لكنها ما لبثت ان استعادت رشدها وأدركت أن اللقاء لقاء عمل ومناقشة، وقال لها بهدوء: «هل قال لك أحد إنك تجيدين الإطراء يا حلوتي؟»

غريب كم كان وقع كلامه هذا قاسياً، أقسى من صوت العقل الذي عجز عن اختراق جسدها الأصم، فما لبثت أن قرت الحرارة التي ألهبت وجنتيها لدى رؤيته، فرفعت هاريت ذقنها ورمقته بنظرة باردة وأجابته: «قليلون هم من قالوا لي ذلك.»

نظر إليها بدهشة لدى سماعه إجابتها الباردة، إلا انه ما لبث أن استعاد رباطة جأشه وقال لها بصوت مرح: «هيا بنا يا حلوتي، سوف نذهب لرؤية الهررة الصغيرة.»

وإذ بذاك الوخز يعتريها مجدداً، لكنها كانت تدرك في قرارة نفسها أن هذا الرجل لم يكن ليتأثر بالمواعيد التي يضربها، فهو يتوخى منها التسلية واللهو، وليس القلق والتشنج.

وإذ بفكرة مشككة تتبادر إلى ذهنها: قد يحاول براد أن يمضي معها بعض الوقت كي يرفه عن نفسه. ترى ماذا سيكون ردها؟

تفاقم غضبها حينما قادها إلى سيارته ودعاها إلى الجلوس وهو يبتسم لها ويثني عليها عاطر الثناء، ثم قال

لها بلهجة مرحة: «هل لاحظت أن الليلة صافية وعليلة النسيم؟ هذا بفضل دعائي...»

كادت هاريت أن تغص: دعواته!

وضحك لها ضحكة عريضة وهو يسحب لها حزام الأمان.

تنهدت هاريت تنهداً عميقاً. كانت تكره أن ترتعش حينما يدنو منها فجأة. لم يلحظ براد ردة فعلها هذه، فسرعان ما أغلق بابها واتجه نحو مقعده. وإذ بها تدرك وفي قلبها غصة حزن كم كانت ضعيفة جسدياً.

جلس براد على مقعده وأدار محرك السيارة. أما هاريت فقد استعادت رباطة جأشها بعدما أيقنت أن تصرفاته لم تكن سوى من باب اللياقة: هكذا كان براد وهكذا سيظل: جانب النساء الدائم.

كاد قلبها أن يقع من صدرها حينما دنا منها فجأة ومرّر إصبعه على جبينها وقال لها موبخاً: «أيتها الشريرة! سوف تكسو التجاعيد وجهك إن بقيت عابسة.»

حاولت جاهدة أن تبتسم كي تخفي الرجفة التي سرت في جسمها حينما لمسها، ثم قالت: «قد أبدو أجمل ان غطت التجاعيد وجهي. أنت أيضاً لديك بعض التجاعيد، لكنك تبدو وسيماً.»

«هذه ليست تجاعيد، إنها خطوط ترسمها الضحكة!»

لم تكن تشك في ذلك لأن براد كان يضحك دائماً، إلا انها قطبت وجهها وقالت: «غالباً ما تقلب المقاييس! فالتجاعيد خطوط يرسمها الزمن على وجه المرأة وترسمها الضحكة على وجه الرجل. أنتم الرجال محظوظون دائماً!»

ضحك براد عالياً، ثم انعطفت سيارته وسلكت الدرب،

وقال: «أوه... لا أدري... لكن النساء يعشن حياة أطول.»

فردت عليه بفظاظة: «ولكن لا يعشن حياة مثيرة مثل حياتكم.»

ضحك ثانية ثم قال: «ربما... حسناً، هلا أرشدتني إلى منزل السيدة غلاغيرز؟ فانا لا أذكره تماماً يا حلوتي.»

كانت هاريت تصرّ على أسنانها، لكنها أرختها وقالت وهي تتكلف الصبر: «اسلك الطريق الواقع على يسارك. براد، هلا كفيت عن مناداتي يا حلوتي؟»

فقال وهو يرمقها بطرف عينه: «أوه؟ لماذا؟»

هزت كتفيها هزة مسالمة كنبرة صوتها وقالت: «لا أحب ذلك، كما أني لا أحب استعمال عبارات على غرار يا حبيبتي ويا صغيرتي ويا عزيزتي ويا حياتي...»

فتمتم براد وهو يخفف سرعة السيارة في آخر الدرب: «ما رأيك إن ناديتك أيتها الثائرة!»

استدارت نحوه فرأته ينظر إليها نظرة المذعور، إلا انها سرعان ما لمحت تلك الومضة الشريرة تتراقص في عينيه، فقالت: «هكذا هم الرجال! يمزحون بشأن موضوع تعتبره النساء مذلاً إلى حد الغيظ! أنا أدعوك براد، فلِمَ لا تدعوني هاريت؟»

«آه... بدأت أفهم الآن... أنا برفقة أحد أعدائي، أنا برفقة شخص مخيف ينادي بحرية المرأة!»

لم تقوَ هاريت على كتمان ضحكتها، فهي لم تكن قط تنادي بحرية المرأة، لا بل كانت تعتبر هذا الموضوع تافهاً. ألم تكن المرأة التي تعتنق هذا المبدأ تؤمن بأن للمرأة حقوق مماثلة لحقوق الرجل؟

liilas.com/vb3
نور

وها ان هذا الرجل، هذا الفاسق، يتهمها بانها...

كانت تضحك بشدة حتى أنها عجزت عن التكلم، فسألها: «هل ان كلامي مضحك لهذه الدرجة؟»

أعرضت عن الضحك بعدما ابتلعت ريقها وقالت: «كلا، ولكن...»

هل كان بوسعها أن تقول الحقيقة فعلاً؟

«كل ما في الأمر أن الجميع يقولون عني إني رجعية.»

رفع حاجبه بسخرية ورمقها بنظرة ثاقبة وقال: «أوه؟ لماذا؟»

طرفت بعينيها وابتلعت ريقها مجدداً. ماذا توقعت أن يقول؟

أدار نحوها وجهاً تعلوه امارات السخرية، وقال بصوت أجش: «لا تقلقي وأنت برفقتي. سوف أوصلك إلى منزلك بأمان وسلام.»

أحست أن تاكيده الصارم هذا جرح ما تبقى لديها من شعور بعزة النفس، فقالت وكأنها أرادت أن تتحداه: «لمَ تقول ذلك يا براد؟ ألا أعجبك؟»

قطب وجهه لدى سماعه كلامها الفظ وقال: «أليس هذا سؤالاً سخيفاً تطرحه عليّ فتاة رجعية؟»

أجل، إنه سؤال سخيف حقاً، وسرعان ما أدركت هاريت ذلك. لقد كان سؤالها ضرباً من ضروب الجنون. وإذ بوجنتيها تلتهبان خفراً.

أدار وجهه نحوها، فالتقت عيناه بعينيها. كانت نظرته غريبة، حزينة. أحست هاريت بانه كان على وشك أن يتكلم إذ انفتحت شفتاه. إلا انه سرعان ما أطبقهما ملتزماً صمتاً

كئيباً، وحول بصره إلى الطريق، ثم تنهد تنهداً عميقاً وكانه يستجمع قواه لمواجهة مهمة شاقة.

وفجأة، انفرجت أساريره وافترت شفتاه عن ابتسامة عريضة ساخرة، وقال: «لا أدري أي نوع من النساء يعجبني يا هاريت، فقد أعجبت بعدد كبير منهن.»

تردد في كلامه إذ بدت امارات الجد على وجهه، فالتقطت هاريت أنفاسها: ما هو الكلام الذي يوشك براد أن يقوله؟

«أظن أنه ينبغي عليّ أن أكون نبيلاً معك وألا أضعك في موقف قد أندم عليه شخصياً. لا ريب في أنك تعلمين أنني كنت على علاقة مع إحدى السيدات في سيدني...»

أومأت هاريت برأسها وقد جف حلقها، أما هو فتابع يقول: «لقد افترقنا مؤخراً، فانا دائماً حر طليق. أنا أحب النساء، أحبهن كصديقات، لكنني لا أغرم بهن. قد أحتاج إلى رفقتهن أحياناً، لكنني أترك ذلك للصدف، لذا اخترت أن تكون لدي امرأة واحدة في حياتي بدلاً من أن تكون لي واحدة هنا وأخرى هناك. هل تفهمين كلامي يا هاريت؟»

حاولت هاريت أن تصرف ذهنها عن الدهشة التي أحدثها وقع كلامه وتركز على ما أراد قوله. ما معنى كلامه؟ هل أراد القول إنه لا يرافق إلا المرأة التي لا تكن له أي عاطفة والتي لا يشعر تجاهها بأية مودة؟

سألته بحذر: «هل حصل ذلك مع ليديا ريتسموند يا براد؟ هل أغرمت بك؟»

أدهشتها ضحكته الحزينة، وسمعته يقول: «كلا! إن ليديا العزيزة عاجزة عن الوقوع بغرام أي رجل كان، فهي أيضاً مغرمة بنفسها. كلا... حينما أخبرتها بأنني سأنتقل للعيش

lilas.com/vb3
نور

هنا، لم تتصور نفسها قادرة على المجيء إلى هنا من أجل إمضاء أوقات ممتعة فقط، وأنا كذلك، فعزمنا على الانفصال.»

لم تقوَ هاريت على كتمان خيبة أملها لدى سماعها كلام براد حول رأيه بالعلاقات مع الجنس الآخر، فهي بنظره مجرّدة من أي شعور بالحب أو حتى بالإعجاب. كم كان مفهومه للأمور غير أخلاقي! وإن أكثر ما كان يزعجها أن ذلك لم يكن يحملها على النفور منه، بل على العكس، كانت تشعر بانها لا تزال منجرفة إليه وإلى أسلوب حياته الهامشي. ما هو السبب يا ترى؟ ألأنهما مختلفان كل الاختلاف؟

كانت تجهل السبب، فأطرقت عينيها وهزت رأسها بارتباك، فقال لها براد بنبرة جافة: «حسناً يا هاريت، لكن ثقي بي، فأنا صادق معك، وقد حذرتك...»

رفعت إليه ناظريها وقالت: «ماذا تقصد بكلامك هذا؟»

حدق إليها وقال: «إنك فتاة ذكية يا هاريت، لكنك عاطفية جداً، ولديك مشاعر عميقة... أما أنا فلدي احساس بالشهامة، لذا لن أتلاعب بمشاعرك.»

حدقت إليه بدورها فيما كان وقع كلماته الأخيرة يترجع في ذهنها، فقالت بفظاظة: «لا أذكر أنني سألتك ذلك.»

وإذ به يحول بصره نحو الطريق قائلاً: «هناك لغة ما بيننا يا هاريت، لغة بدأت تهز كياني...»

«يا لك من مسكين! اسمع يا سيد بارينغتون، عليك أن تفهم جيداً أنني لست بائسة إلى حد أن ألاحق أي رجل أخرج معه، وان أغرم بنذل قاسي القلب مثلك!»

وإذ بها تصاب بالصدمة حينما رأته يضحك لها ضحكة عريضة وسمعته يقول: «أنا مسرور جداً لسماعي كلامك هذا. تقولين إذاً أننا صديقان، أليس كذلك؟»

هزت رأسها اشمئزازاً وصاحت به قائلة: «انك الرجل الأكثر أنانية والأكثر إثارة للغضب...»

قاطعها بلطف قائلاً: «هل نتجه إلى اليمين أو إلى الشمال يا هاريت؟»

«ماذا؟ أوه... إلى الشمال.»

«حسناً.»

تنهدت ومدت إلى جبينها يداً مرتجفة. إن ما يحصل بينهما يكاد يكون كابوساً، والأسوأ من ذلك أنه كان على حق في كلامه على اللغة بينهما، فكلما غضبت منه كلما أحبته. يا لجنونها!

وإذ بفكرة منطقية تخطر على بالها. إن كان متأكداً من أنها لن تغرم به، فهو قد يرغب في إقامة علاقة معها. صحيح أنها لم تكن فتاة جذابة ومثيرة، لكن يبدو أن براد من النوع الذي يرغب في معظم النساء. هل كانت هي أيضاً ترغب في ذلك فقط.

شعرت بأن رأسها يعج بشتى أنواع الأفكار.

وسمعته يقول بصوت خافت: «نحن صديقان، أليس كذلك؟»

نظرت إليه نظرة حزينة، لكن ابتسامته هدأت من روعها، فهزت رأسها وكأنها تريد أن تطرد منه تلك الأفكار الغبية وقالت: «أجل، نحن صديقان.»

«حسناً. إنه المنزل الثاني نحو الشمال.» قال ذلك وهو

liilas.com/vb3
نور

يقود السيارة السوداء على العشب أمام سياج منزل السيدة غلاغيرز. أومأت هاريت برأسها. إنها مجنونة حقاً! كيف يسعها أن تتخيل نفسها قادرة على كتمان محبتها إن استمرت في رؤية براد حتى على سبيل الصداقة. كان شعور يحدثها بأن هذا العشاء سيكون آخر لقاء يجمعهما، إلا أنها لم تعبر عن هذا الشعور خوفاً من أن تفسد بقية السهرة.

أبدت السيدة غلاغيرز سروراً بالغاً حينما فتحت لهما الباب، فرأت هاريت أن سرور العجوز محزن فعلاً، إذ انه خير دليل على أن ما من أحد يعدها بزيارة إلا ونكث وعده، قطعت هاريت على نفسها عهداً بأن تأتي لزيارتها مراراً.

«إن الهررة الصغيرة بألف خير.»

قالت العجوز ذلك وهي تقود براد وهاريت عبر الممر المظلم إلى المطبخ القديم الذي علقت على جدرانه قدر نحاسية.

ثم انحنت وأشارت إلى سلة في الزاوية قرب فرن الحطب وضعت فيها الهررة الأربعة.

«أترين؟ إن الهر الذي اخترته بأفضل حال أيها الشاب.»

وأخذت الهر الأبيض الصغير ووضعته بين يدي براد المشمئزتين. أمسك براد الهر بعيداً عن قميصه وراح يحدق إليه حينما رفع الحيوان الصغير رأسه وهو يموء. مد براد يده وداعبه بحذر، فشرع الهر الصغير يخرخر فقالت السيدة غلاغيرز لبراد: «أترى؟ إنه يحبك. هل تعلم أنها هرة؟»

نظر براد إلى هاريت بطرف عينه وقال: «ألم أقل لك ذلك؟ إنها أنثى... لا تجلب معها إلا المشاكل.»

وأضافت العجوز قائلة: «عليك أن تأخذها قريباً إلى

منزلك. إنها خجولة جداً لذا لن يسعها لعق الحليب إن توقفت عن إطعامها بواسطة الرضاعة. إنها بحاجة إلى عناية خاصة وإلا اعتراها الخوف، وليس أسوأ من هرّ خائف، كل ما يفعله هو التخريب والخدش.»

أثنى براد عليها قائلاً: «إنك تعرفين الكثير عن الهررة يا سيدة غلاغيرز، أليس كذلك؟»

أبدت العجوز سرورها لسماعها هذا النبأ، فقالت: «لقد اعتنيت طوال حياتي بالهررة. إنها حيوانات غريبة، لكنها خير رفيق إن أحسنت معاملتها. انتبه، فهي ليست حيوانات أليفة تقتنى للاستمتاع، فهي تمتلك أكثر مما تمتلكها.»

فاقترح عليها براد اقتراحاً: «لمَ لا تؤلفين كتاباً عن الهررة؟ يتضمن نصائحك إلى هواة تربيتها.»

وإذ بومضة الحماس تضيء العينين الزرقاوين: «هل تظن أنه يسعني القيام بذلك؟ أعني... أنا أرغب في ذلك، لكن من سينشر الكتاب ومن سيقرأه؟»

«الكثير من الناس على ما أظن، وأنا أعرف الكثير من الأشخاص المهمين الذي يعملون في حقل النشر. أعطني فقط النسخة النهائية، وأنا أتولى نشره، ولتكن النسخة مطبوعة على الآلة الكاتبة.»

«أنا أجيد الضرب على الآلة الكاتبة...»

وسرعان ما خبا حماسها، فأضافت: «لكنني لا أملك آلة كاتبة.»

فصاح بها براد: «ليس هناك مشكلة! لدي آلة كاتبة صغيرة وكهربائية لا أستعملها، لأنني أعمل على جهاز الكمبيوتر. سوف أعطيك إياها.»

lilas.com/vb3 نور

«لا يمكنني ذلك... أعني... هذا كرم بالغ منك.»

قاطعها بلطف: «هذا كلام تافه. أنا لست بحاجة إليها. سأجلبها لك في الغد.»

علت الحمرة وجنتي المرأة العجوز واغرورقت عيناها بالدموع.

استدارت وهرولت نحو البراد لتسحب بعض المحارم من العلبة الموضوعة عليه كي تكفكف دموعها.

أحست هاريت وكأن كتلة ما تخنق حلقها. راحت تحدق إلى براد، وهي لا تعرف كيف تفهم هذا الرجل الذي يستطيع أن يعامل امرأة عجوزاً بلطف وعناية، وأن يصرح بأنه لا يقترب من امرأة إلا إن كان شعوره تجاهها مجرداً من أية عاطفة. إنه حقاً كائن مليء بالتناقضات!

أدهشه تأثر السيدة غلاغيرز، فاستدار نحو هاريت وحدق إليها بعينين متوسلتين ثم قال: «لم أقصد ذلك.»

ابتسمت له هاريت بسمة التفهم، ثم دنت من العجوز ووضعت يدها على كتفها. لم تنبس بكلمة، لكن لمستها الرقيقة ما لبثت أن هدأت من روع العجوز التي قالت وهي تهز رأسها بعدما استدارت نحوهما ونظرت إليهما بعينين مخضلتين: «أنا آسفة. لقد مضى وقت طويل على...»

هزت رأسها مرة أخرى، ثم انتصبت بفخر وتابعت قائلة: «يجب أن تدعني أظهر لك امتناني أيها الشاب. إني أدعوك لارتشاف الشاي، وأنت أيضاً يا هاريت.»

«بكل سرور، أليس كذلك يا هاريت؟ لكن شرط أن...»

اندهشت الفتاة والعجوز على حد سواء.

«شرط أن تكفي عن مناداتي أيها الشاب.» ثم ضحك

ضحكة عريضة وأضاف: «إنني أناهز الأربعين من العمر، فلم أعد شاباً. سوف أجيبك إن دعوتني براد أو بارينغتون، كما تشائين.»

ردت عليه العجوز بابتسامة مماثلة، فأثبتت لهاريت أن هذا الرجل قادر على جذب أية امرأة بابتسامته وبكلامه المعسول.

قالت السيدة غلاغيرز: «حسناً، سأدعوك براد.»

رفعت هاريت عينيها نحو السقف. كان بوسعها أن تتخيل مأدبة الشاي الآن. لابد من أن السيدة غلاغيرز سوف تفرش الطاولة بأجمل الأغطية الكتانية وتضع عليها أفخم الآنية الفخارية والسكاكين الفضية، وتحضر أسمن دجاجة في القن لطعام العشاء. فالشاي بالنسبة إلى جيل السيدة غلاغيرز يعني آخر وجبة طعام، أي العشاء، وهي تبغي أن تكرم براد خير إكرام.

«هل يلائمكما نهار السبت المقبل مساءً، حوالى الساعة السادسة؟»

كانت هاريت تعتبر نفسها بأمان وهي برفقة براد عند السيدة غلاغيرز، فوافق الاثنان على الموعد المحدد، واتفقا أن يصطحبا معهما بريدجيت بعد انتهاء العشاء.

مضت خمس دقائق على سلوكهما الطريق المؤدي لكوفز هاربور وكانت هاريت هي التي تكلمت أولاً: «انك أكثر الرجال تناقضاً في العالم يا براد بارينغتون.»

«أنا؟ كيف؟»

«ما ان تعترف لي بأن ليس لديك وقت للالتزامات العاطفية حتى أراك تعتني بامرأة عجوز تعرفت إليها للتو.

lilas.com/vb3
نور

هل تظن أنني لم ألحظ كم كنت تستمتع بفتونها؟ إنك تفتن جميع النساء، باستثناء الفتاة الجالسة بقربك، طبعاً.»

ضحك وقال: «انسي الأمر يا هاريت فنصبح صديقين دائمين. كل ما في الأمر أنني لا أحب أن تهدر المواهب، ومن المؤكد أن للمرأة العجوز موهبة في الاعتناء بالهررة.»

احتجت هاريت قائلة: «لا أظن أن الأمر بهذه البساطة. أنت ترمي إلى تضليلي في ما يتعلق بمعرفة شخصيتك، لا تنسى أنني قرأت هاي رايز. إنها أروع رواية قرأتها في حياتي وهي تكتنف عواطف في صفحاتها يا براد، عواطف صادقة وشفقة صادقة أيضاً، لا يمكن إلا يشعر بهما كاتبها. إنك...»

أدركت أنها أصابته في صميم قلبه، فانتصب وهو جالس في مقعده وتشبثت أصابعه بالمقود، ثم قال لها بعد طول صمت: «إن كل شخص لديه عاطفة، حتى الشخص الأكثر سطحية.»

سألته وهي غارقة في التفكير: «هل تظن نفسك كذلك يا براد؟ هل تظن فعلاً أنك سطحي وتافه أو انك تريدني أن أظن ذلك.»

فاجأتها الومضة القاسية الغاضبة التي لاحت في عينيه، فقال لها بعدما حول انتباهه إلى الطريق المستقيم المؤدي إلى الساحل: «يمكنك أن تظني ما تشائين. هذا لن يبدل الحقيقة.»

«وما هي الحقيقة؟»

«لقد قلتها لك. أنا براد بارينغتون، أعيش لنفسي فقط. لا تخدعي نفسك وتظني العكس.»

التزمت الصمت، فأضاف قائلاً: «هل غيرت رأيك بشأن صداقتنا؟»

فأجابته بعناد: «كلا، أبداً.»

«إذاً، علينا أن نتطرق إلى سبب خروجنا معاً. ان مسرحيتك...»

رفعت هاريت رأسها المطرق، وكأنها تثب وثبة الفخر ممتزجاً ببعض التشنج. هيهات أن تستسلم لرجل، أياً كان.

«حسناً، أظن أنك تعتبرها مسرحية فاشلة.»

«كم أكره التواضع المصطنع!»

«التواضع المصطنع! لماذا؟ هل...»

ضحك لها ضحكة عريضة ووقحة، فشعرت بأنها على وشك الاستسلام.

«إنك لاذعة يا هاريت.»

فردت عليه قائلة: «وأنت تلدغ كالثعبان!»

«أنا مسرور لأنك اكتشفت ذلك أخيراً.»

«لقد أدركت ذلك منذ البدء يا براد بارينغتون.»

«هذا رائع!»

غريب كم كان معتزاً بنفسه!

«في ما يتعلق بمسرحيتك...»

lilas.com/vb3
نور

الفصل السادس

لقد أعجبته المسرحية ولكن، مع بعض التحفظ. فقال لهاريت:

«لست كاتباً مسرحياً، لا يسعني إذاً أن أشير عليك في ما يتعلق بالأمور التقنية، أو ما شابهها، لكني أشعر أنني مؤهل لانتقاد الكتابة بحد ذاتها وتصوير الشخصيات ومبنى النص ككل.»

أدهشها بقوله إن أسلوبها رائع وإن تصويرها الشخصيات ممتاز والعقدة ملفتة للانتباه والحوار مميز.

كانت هاريت تتألق حينما بلغا كوفز هاربور وأوقفا السيارة في موقف خاص محاذٍ للمجمع التجاري.

أما انتقاده السلبي، فوجهه إليها خلال العشاء، حينما كانت هاريت تضع آخر لقمة قريدس في فمها. كانا قد اختارا مطعماً صينياً يقع في إحدى النواحي المصممة على شكل قنطرة، بعيداً عن ازدحام السياح.

وتنهد براد وقال: «لسوء الحظ هناك مشكلة واحدة في مسرحيتك.»

بدأت نبضات قلبها تتسارع، فهمست: «أوه؟»

«لا بد من أنها مسرحية رائعة... لو كتبت في الخمسينات، وهي قصة فاشلة بالنسبة إلى أيامنا هذه، لأن الوقائع التي ارتكزت إليها لم تعد تؤخذ على محمل الجد.»

غصت هاريت لدى سماعها هذا الكلام. لم تعد تؤخذ على

محمل الجد؟ كيف لا يمكن أخذ واقع الحياة على محمل الجد؟

أما هو، فكان يبدو آسفاً كل الأسف على ما كان عليه قوله.

«لنأخذ البطلة، هنريتا، على سبيل المثال. ربما كنت لاذعاً إن قلت لك كم من فتاة تدعى هنريتا في أيامنا هذه؟»

أجابته من دون سابق تفكير: «على قدر ما يوجد فتيات اسمهن هاريت.»

رمقها بنظرة حادة وقال: «أظن أنك قلت إن القصة لا تروي سيرتك الذاتية.»

من حسن الحظ أنه لم يتمكن من رؤية حمرة الذنب التي خضبت وجنتيها عبر نور المطعم الخافت، فقالت بشيء من التأكيد: «هذا صحيح فعلاً. أكمل، ما هو الأمر الآخر الذي لا يؤخذ على محمل الجد؟»

كانت تدرك بأنها فظة بعض الشيء. لكن انتقاده كان غير عادل.

«لقد ذكرت أن البطلة على علاقة مع شاب وسيم يدعى غرانت، وأن هذه العلاقة كانت تقتصر على اللقاءات البريئة. هذا كلام غير معقول في أيامنا هذه يا هاريت. إلا أنه هرب مع الفتاة التي كانت تقطن معها.»

عضت هاريت شفتها. لقد استغربت تصرف غراهام، لكنها عزته إلى عدم جاذبيتها، فقالت مدافعة: «كل ما يمكنني قوله إن ذلك حدث فعلاً. تذكر أن القصة مستوحاة جزئياً من تجارب عاشتها صديقة لي. إنها فتاة ساذجة.»

«لكن بها من الحسن ما يحمل شاباً وسيماً على طلب

lilas.com/vb3
نور

الزواج منها. هذا غير معقول يا هاريت، إلا إن كانت الفتاة وريثة ثروة ضخمة، وهذه ليست حالها. وأنت لم تكتفي بذلك فقط، بل ذكرت أنها في السادسة والعشرين من العمر ولم تقم علاقة مع أحد من قبل وعملت في سيدني خلال عدة سنوات هذا غير معقول!»

كان عليها أن تلتزم الصمت وألا تنبس ببنت شفة، لكنها انسان لديه شعور، فهمّت قائلة: «أنا في سن السادسة والعشرين ولم اقم علاقة مع أحد!»

بقيت تلك الكلمات معلقة في الأثير الفاصل بينهما. وخيم عليهما صمت ثقيل خرقته قرقعة الأطباق.

وضعت النادلة طبق اللحم على الطاولة ثم انصرفت بحذر بعدما ألقت نظرة خاطفة على الشخصين الجالسين، فرأتهما ينظران إلى بعضهما بعضاً فيما كان براد لايزال تحت أثر الصدمة، وفيما كانت هاريت مستسلمة لشعورها الحزين.

أنّت هاريت أنيناً موجعاً، ثم أطرقت عينيها ولم ترفعهما إلا حينما مد براد يده ووضعها على يدها المرتجفة وتمتم بلطف: «إياك... إياك أن...»

لم تكن تدري ماذا كان يقصد، لكنها كانت متأكدة من لطفه، فاغرورقت عيناها بالدموع. «هيا، كلي.»

سحب يده ليسكب بعضاً من اللحم في طبقها، فاستجابت هاريت لطلبه من دون تفكير. كم كانت تكره نفسها وتكره فمها الكبير! آه! كيف باحت له بسر كهذا؟ ولماذا كان يعتريها هذا شعور؟ إنه واقع فرض عليها لأنها تفتقر إلى الجاذبية التي تتحلى بها سائر النساء.

ما إن انتهيا من أكل اللحم حتى عرض عليها قائلاً: «هل ترغبين ببعض العقبة؟»

هزت رأسها نافية.

«ربما ترغبين ببعض الشاي الصيني؟»

هزت رأسها ثانية. كانا قد ارتشفا العصير خلال العشاء وهي في الحقيقة لم تعد ترغب في البقاء لمدة أطول، فالسهرة أفسدت برمتها.

تنهد براد ثم أومأ بيده للنادلة: «الحساب من فضلك.» وسرعان ما تقدمت النادلة من الطاولة، فناولها عدداً كبيراً من الأوراق النقدية. بخشيش وفير لا شك.

قادها براد إلى السيارة والصمت يخيم عليهما، ثم جلس إلى جانبها وفاجأها بسؤال طرحه عليها وهي غارقة في بؤسها الداخلي: «اخبريني أمراً واحداً هل مازلت تحبين غرانت، أقصد... ذاك الشاب... لا أعرف اسمه الحقيقي.»

نظرت هاريت إلى براد بعينين حزينتين أثقلهما ألم الذكرى، وقالت من دون أن تحاول الإنكار: «اسمه غراهام. أجل، مازلت مغرمة به.»

«وتلك الرفيقة الفاتنة، ألكسيس، هل كانت صديقتك الفضلى؟»

«كلا.»

«هل هي شخصية خيالية؟»

«كلا...»

«من هي إذاً؟»

«أماندا.»

«أماندا؟»

lilas.com/vb3 نور

قطب وجهه وهو يحاول استذكار الاسم، ثم قال: «هل تعنين شقيقتك، تلك الفتاة الشقراء التي وضعت صورتها على مكتب والدك؟»

وإذا بهاريت تتجاوز الألم والدموع وتقول بصوت كئيب: «ومن غيرها؟»

ارتسمت على وجه براد أمارات الصدمة والشفقة آه! كم كانت تكره الشفقة!

«هل تقصدين أن شقيقتك أغوت خطيبك ثم رحلت معه؟»

«أجل.»

«متى؟»

«لقد قرأت المسرحية يا براد. رحلت منذ أربع سنوات، لما كانت البطلة في الثانية والعشرين من عمرها.»

«وألكسيس، أعني أماندا، كانت في سن التاسعة عشرة.»

«هذا صحيح.»

«هذا مقرف!»

ضحكت هاريت وقالت: «أنت تحاول مؤاساتي، أليس كذلك يا براد؟ ما كنت لأظن أن تصرفاً كهذا سيثير استياءك.»

وإذا به يمسكها بفظاظة ويجذبها إليه وينظر إليها بعينين غاضبتين ويصيح: «لا تقولي لي هذا الكلام ثانية. هل تسمعين؟ أنا لم أكن لألحق الأذى بأي كان أبداً! فأنا آخذ فقط ما يعطى لي، ولا أعطي إلا ما بإمكاني عطاءه. أنا أمقت ما فعلته بك شقيقتك، أمقته!»

وسرعان ما أدرك أن تصرفه خاطىء، فارجع رأسه إلى الوراء وسمر عينيه بأصابعه المغروسة في جلد هاريت، ثم

سحب يده، تاركاً هاريت غارقة في مقعدها تنظر إليه بعينين واسعتين لاتزالان تحت وطأة الصدمة.

تمتم قائلاً: «أنا آسف يا هاريت. آمل ألا أكون قد ألحقت بك الأذى.»

غرق في مقعده وأغمض عينيه، وراح صدره يرتفع ويهبط على وتيرة تنفسه العميق.

أما هاريت، فظلت قابعة في مكانها، تعتريها الرجفة من ردة فعل براد غير المتوقعة. لم تكن لتخال أنه قد يكون عاطفياً إلى هذا الحد! فقالت وهي لا تنفك ترتجف: «لا بأس يا براد... لم يجدر بي قول هذا الكلام المهين.»

فتح عينيه ببطء ورمقها بنظرة كئيبة: «كما لو كنت لا استحق الإهانة!... أوه يا هاريت... كيف بلغنا هذا المبلغ! إنك تنفذين إلى أعماق نفسي، هلى تعلمين ذلك؟ لا يسعني أن أتخيل أختاً تتصرف هذا التصرف المشين مع أخت مرهفة مثلك.»

هزت هاريت كتفيها وكأنها تريد أن تنفض عنها شعوراً بالشفقة لم يسعها تحمله، لكن الألم كان لايزال يعتصر قلب براد، فلم يلحظ هذا الأخير ردة فعلها، فقالت: «أنا متأكدة من أن امثال شقيقتي كثيرون، لقد اعتدت ذلك.»

«كلا!»

احتجت قائلة: «أجل، طبعاً، فقلما أفكر بالموضوع الآن.»

«لا تحاولي أن تخدعيني يا هاريت. لقد قرأت مسرحيتك. إن هنريتا خيال فتاة كئيبة، وكلانا نعرف ان هذه الفتاة هي أنت.»

lilas.com/vb3
نور

«استنتاج صائب.»

«أوه يا هاريت. ألا تعلمين ماذا تفعلين بنفسك؟ تدعين أنك قاسية القلب في حين أن قلبك يائس وحزين؟»

غضبت هاريت بشدة إذ شعرت بأن براد ينظر إليها بعين الشفقة ثانية.

لا! لن تتحمل كلامه هذه المرة فيما هو يجهل حقيقة الموضوع الذي يتكلم فيه، فقالت: «لا أظن.»

«تباً لك، أصمتي وأصغي إليّ ولو مرة في حياتك.»

غصت وفتحت شفتيها كي تنطق بكلمة، لكن سرعان ما أطبقتهما بسخط.

«أنت بحاجة إلى من يعتني بك، إلى من يهديك إلى الإتجاه الصائب حتى تنسي غراهام العزيز.»

«ماذا تريدني أن أفعل؟ أتريدني أن أنشىء علاقة عابرة مع أي رجل أتعرف إليه؟ أهذا هو مفهومك للحياة السعيدة يا براد؟»

كان صوتها مفعماً بالسخرية، وتابعت تقول: «وعليّ ألا أنسى أيضاً أنه يجدر بي أن أقيم صداقات مع رجال لا أحبهم ولا يحبونني، أليس كذلك؟»

رماها بنظرة صاعقة وقال:

«لن أنصح فتاة شابة وحساسة مثلك بذلك، لكن يجدر بك أن تعيشي حياة طبيعية مختلفة عن الحياة التي تعيشينها منذ أربع سنوات، وأنت تنتظرين رجلاً لا يستحقك وتهدرين شبابك في البحث عن حلم زائل، عن شبح، عن وهم نسجه خيالك الرومنطيقي. لم يحبك غراهام قط، ولن يحبك. كوني صادقة مع نفسك وتمتعي بحياتك ولو مع رجل آخر.»

«ومن هو هذا الرجل؟ أنا لا أرى الرجال مصطفين على بابي! أنا لست أماندا. أنت تعرف ذلك.»

طال به النظر إليها ثم قال: «هذه هي عقدتك إذاً. هاريت فتاة مسكينة تختلف كل الاختلاف عن شقيقتها الحسناء والمثيرة، تنطوي على ذاتها وتلتزم الصمت فلا يتجاسر أحد على إظهار اهتمامه بها، وهذا بالطبع أمر مستحيل، لأنها تافهة ودميمة.»

حدقت إليه وقد كرهته لقوله هذه الحقيقة الجارحة: «ألست كذلك فعلاً؟»

«كلا.»

liilas.com/vb3 نور

«أنت كاذب تعلم أنني لا أملك شيئاً. ليس لي وجه جميل ولا شكل حسن ولا جاذبية. لا فائدة من الإنكار. أنا أعي ذلك. لقد اعتدت هذا الواقع، أعيش حياتي من دون ترقب أي موعد، ومن دون انتظار أي صديق حميم، ومن دون تبادل أية نظرة حب، من دون شيء على الاطلاق!»

«ماذا عن غراهام؟»

«ماذا عنه؟ لقد رحل مع أماندا، أليس كذلك؟»

«لكنه أحبك أنت أولاً يا هاريت. لماذا؟»

هزت بكتفيها وقالت: «لا أعلم.»

«أظن أنني أعلم لماذا؟»

أذهلها كلامه، ولم تخف ذهولها.

«هل ترغبين في أن أقول لك لماذا؟ أو ستتهمينني بالكذب ثانية؟»

قطبت جبينها وقالت بعد طول صمت: «سوف أصغي إليك، فأنت صادق عادة، فقط لأنك عنيد.»

ضحك براد وقال: «حسناً، هذا سوف يسهل عليّ مهمة اقناعك بأنك مخطئة في تفكيرك.»

هزت رأسها وهي تتساءل إن كان سيصدق فعلاً، أو أنه سيلطف صراحته شفقة عليها.

قال لها إذ التقط نظرتها المشككة: «سوف تكونين صعبة المنال وعنيدة، لكن، لا بأس، إني معجب بك لأنك تتحلين بهاتين الصفتين، ولأنك لا تعرفين الخبث ولا تحسنين التلاعب بالآخرين. ربما ضللت الطريق الصحيح، إلا أنك بلغت أوله الآن، وهذه بداية حسنة.»

تنهدت وقالت: «لست متأكدة من أنني على علم بما تقوله الآن يابراد.»

«سوف تعلمين في الوقت المناسب يا هاريت.»

ضحكت ضحكة تشنج وقالت: «ستتكلم وكأن ذلك سيستغرق الليل برمته.»

«أجل، بالطبع.»

«لا أفهم لماذا...»

«أرجوك يا هاريت، كفي عن مقاطعتي، هذه هي إحدى خصالك السيئة، تصرين دائماً على التكلم.»

صاحت به غاضبة: «إن تكلم الرجل فهو جازم، وإن تكلمت المرأة فهي ثرثارة.»

نظر إليها براد وهو يعض على شفتيه بغضب، ثم استدار نحو الأمام وأدار محرك السيارة فدمدمت عليه: «ماذا تفعل؟ ظننتك ستسألني لماذا طلب مني غراهام الزواج؟»

«كنت سأسألك، لكنني بدلت رأيي، فأنت سيئة الطبع في الوقت الحاضر.»

«لكن... أنا...»

«والآن، كوني فتاة عاقلة يا هاريت، وامنحي نفسك قسطاً من الراحة لأنك سوف تبذلين بعض الجهد لاحقاً.»

«ماذا تقول؟»

قاطعها بنظرة قاسية وجافة، ووضع قدمه على دواسة الوقود وقال: «اسمعي، أنت تعرفين حق المعرفة أن المسافة التي تفصلنا عن فاليز إند طويلة وأريد أن أجتازها خلال ساعة. من البديهي إذاً أن استمر في التحدث عن شخصيتك قبل أن أحقق مبتغاي.»

سرت رجفة في عروقها، فقالت: «مبتغاك؟ وما هو مبتغاك؟»

رفع أحد حاجبيه ببطء وأطرق عينيه لينظر إلى الشريط الأسود المربوط حول عنقها وقال: «أنت مبتغاي يا هاريت.»

lilas.com/vb3 نور

الفصل السابع

غصت هاريت وسألته: «ماذا... ماذا قلت؟»

«لقد سمعتني يا هاريت.»

حدقت إليه، لكنه ظل ينظر أمامه، مركزاً انتباهه على الطريق الملتوي.

«من تظن نفسك لتقول كلاماً كهذا؟»

نظر إليها نظرة خاطفة الهبت فؤادها، ثم قال: «أنا صديقك على ما أظن.»

ابتلعت ريقها وقالت: «الصديق لا يعرض على صديقه عرضاً مماثلاً فقط لأنه... أوه... أنت تعرف ماذا أقصد! إنها فكرة سخيفة جداً.»

«أظن العكس تماماً، فالصديق هو الأولى بالثقة.»

رمقته بعينين غاضبتين.

«يا لك من بربري يا براد بارينغتون! كم امرأة عرضت عليها صداقتك هذه خلال السنوات الغابرة؟»

ضحك وقال: «إنهن قليلات. أنت أول فتاة بريئة في حياتي.»

«كان يجدر بي أن اعرف ذلك! نادراً ما تعجبك الفتيات البريئات.»

«أجل.»

«لذا أناسبك لأنك علمت أنني مازلت مغرمة بغراهام.»

«بالطبع.»

لم تكتم اشمئزازها، فقالت: «حتى إن لم أكن على المستوى المطلوب؟»

ابتسم لها ابتسامة ساخرة وقال: «سوف تبلغين المستوى المطلوب ياهاريت.»

«هل يجدر بي أن اسر بهذا الإطراء التافه؟»

ضحك ضحكة متقطعة وقال: «هل ستصدقينني إن قلت لك إنني أجدك فاتنة وإنني أتوق إليك مذ التقت عيناي بعينيك البنيتين الأسبوع الماضي؟»

«يصعب علي ذلك.»

«أشكريني على الأقل.»

«أنت فعلاً تذهلني.»

«سأذهلك إن افسحت لي في المجال.»

«ماذا تعني؟»

«أعني أنني أريد أن أقول لك كم تعجبني قامتك الممشوقة، وكم يعجبني شعرك الكث اللماع.»

«هل تظن أنني سأتقبل اطراءك لي؟»

«لن تتمكني من صدي يا هاريت.»

نظرت إليه بازدراء ثم رفعت رأسها وأرجعت شعرها إلى الوراء.

«قد يسعك تحقيق كل مبتغى تريده، إلا أنا.»

ضحك ضحكة مرحة وقال: «أتظنين ذلك فعلاً؟ أنت إذاً تعرفينني حق المعرفة يا هاريت.»

«قل واضحك قدر ما يحلو لك، فانا أعلم أنني على حق.»

ابتسم باستهزاء وقال: أتعتقدين ذلك؟»

نظرت إليه نظرة احتقار وسخرية، ثم حولت نظرها عنه إلى الطريق.

liilas.com/vb3
نور

هكذا أمضيا الوقت وهما في طريق العودة إلى فاليز إذ يتحادثان بأسلوب لاذع ويتبادلان كلاماً قاسياً. كان الدم يلتهب في عروقها، ولم تكن تدرك السبب، هل هو الحنق أم الرغبة في أن تكون معه؟ وإذ بصوت صارخ يهز كيانها. إنه لا يرغب بك بل إنه يشفق عليك.

التزمت هاريت الصمت وكأنها تأبى أن ترد على صوت الحقيقة هذا، فأدارت رأسها وطرفت بعينيها الغائمتين، فأدركت أنهما على وشك الوصول إلى مزرعة براد.

قال لها براد بعدما انعطفت سيارته وسلكت الدرب المؤدي إلى المنزل.

«لمَ تلتزمين الصمت؟»

سألت وكأنها تود لو تغير الحديث: «كم الساعة الآن؟»

أوقف براد السيارة أمام المنزل ثم ألقى نظرة على ساعته وقال: «إنها العاشرة والربع. لماذا؟ هل أنت مضطرة إلى العودة إلى المنزل في وقت محدد؟»

«كلا.»

أحست بتوتر في جسدها، فكررت قائلة: «كلا.»

ثم أدارت نحوه عينين ملؤهما الإرتباك، لكنه كان قد ترجل من السيارة وسار باتجاهها.

قال لها وهو يساعدها على الترجل من السيارة: «إن يديك باردتان.»

ابتعدت عنه وسارت مهرولة نحو أدراج السلم وصعدت إلى الشرفة، ثم راحت تتأمل الوادي كي تُبعد نظرها عنه. وقالت وهي تحاول أن تتظاهر بالهدوء: «الضباب على وشك أن يكسو الأرض.»

كانت تشعر بالألم يعتصر معدتها وهي تعترف لنفسها بالحقيقة، إن براد على حق، فهي بحاجة لقضاء الوقت معه، والفرصة سانحة الآن، إذاً، لا تراجع.

صعد درجات السلم ووقف أمامها مقطب الجبين، ثم تمتم بهدوء: «كفي عن التهرب يا هاريت. لن أؤذيك.»

كم كانت تشعر بالأمان وهي إلى جانبه، كمن ضل طريقه ثم عاد إلى منزله بعد طول غياب.

وهمس لها: «لست مرغمة على الدخول ومتابعة السهرة، اذا كنت لا تريدين ذلك.»

ابتعدت عنه وقالت وهي صافية الذهن: «كلا... أنا أرغب في ذلك... لكن...»

ابتسم ابتسامة ساخرة وقال: «لكن ماذا؟»

نظرت بعينيها البنيتين إلى وجهه الوسيم وقالت: «أكره أن أظن أنك تشفق علي.»

اتسعت ابتسامته ولاح بريق في عينيه، وقال: «تأكدي يا هاريت أن الرجال نادراً ما يتقربون من امرأة بداعي الشفقة. كلا يا حبيبتي، أنا مهتم بك حقاً.»

افترت شفتاها عن بسمة خجولة، فقال: «أريدك دائماً مبتسمة.»

غريب هذا الشعور الذي يعتريها الآن، لم تعرفه قط حينما أحبت غراهام... إنه شعور عميق وجامح، يفوق الافتتان... ترى، ما هو؟

liilas.com/vb3
نور

الفصل الثامن

«هيا استيقظي يا هاريت! هل تدركين أن النهار قد انتصف؟»

تململت هاريت في فراشها وهي تئن تذمراً، وجذبت إليها الغطاء المخملي. لم تكن ترغب في النهوض الآن، كانت تود لو تبقى نائمة، فتحلم بالأوقات الجميلة التي قضتها مع براد. لمَ لا تدعها أمها...

فتحت عينيها وطرفت بهما لدى رؤية وجه أمها المستاء، ثم قالت وهي تنظر حواليها بارتباك: «أمي؟»

افترت شفتاها عن بسمة صغيرة حينما تذكرت كيف دخلت المنزل خلسة كونها عادت في وقت متأخر، وسارت على رؤوس أصابع قدميها في الممر وكأنها مراهقة منحرفة.

قالت لها والدتها بلهجة متشنجة: «كنت أريد التحدث إليك فلم أقوَ على الإنتظار فترة أطول. آه، أنظري إلى سترتك الأنيقة وهي مرمية على الأرض.»

ثم انحنت وأمسكت القميص والتنورة ونفضتهما بغضب وعلقتهما على الكرسي.

«لم أعهدك مهملة يا هاريت.»

احمرت وجنتا هاريت خجلاً حينما تذكرت كيف دخلت غرفتها ورمت ثيابها أرضاً إذ غلبها النعاس، فنامت سعيدة هانئة.

قالت لها أمها مؤنبة: «لا ريب في أنك عدت في ساعة متأخرة أمس. بقيت مستيقظة حتى الساعة الواحدة والنصف ولم تكوني قد عدت بعد.»

كانت هاريت على وشك أن تبرر نفسها، لكن شعوراً بالثورة تملكها وحال دون تكلمها. إنها في السادسة والعشرين من العمر، فهي إذاً امرأة ناضجة وليست طفلة.

تمددت ثم تنهدت وقالت: «عدت في ساعة متأخرة فعلاً. لقد دعاني براد إلى تناول شيء من الشراب في منزله عقب العشاء، فباغتنا الضباب. انتظرنا حتى تبدد، ثم رجعت إلى المنزل.»

«هل تعنين أنك كنت بمفردك برفقة ذاك الرجل طوال الليل؟»

كان صوتها وكلامها ينمان عن استياء ممزوج ببعض الصدمة، مما أدهش هاريت التي أجابت والدتها قائلة بنبرة غاضبة: «ظننت أن ذلك لن يزعجك يا أمي، لأنك ترغبين في أن أتزوج السيد بارينغتون.»

«لا تكوني وقحة يا هاريت! أنا على يقين بأنك لا تقصدين ذلك، لكن بعض الرجال...»

قاطعتها هاريت بحدة: «ولمَ لا؟»

جحظت عينا جوليا فيما مدت هاريت يدها لتزيح خصل شعرها عن عينيها.

«لماذا كنت تريدين التحدث إليّ؟»

كانت جوليا تبدو حائرة، فراحت تجوب الغرفة ذهاباً وإياباً وتفتش الأغراض.

lilas.com/vb3 نور

وشرعت جوليا تقول: «أريد أن أحدثك عن السيد بارينغتون.»

رددت هاريت وهي ترفع حاجبيها: «السيد بارينغتون؟ ما بال براد؟»

«لا أرغب في أن تظلي على علاقة طيبة مع هذا الرجل.»

«لماذا؟»

نظرت جوليا إلى هاريت بعينين ملؤهما الإرتباك: «اخترت إحدى روايات السيد بارينغتون من المكتبة أمس وقرأت جزءاً منها في غيابك. لا أخفي عنك يا هاريت أنني أصبت بصدمة حقيقية. ما قرأته كان مثيراً للإشمئزاز. خلت الناس أشبه بالحيوانات... هل تفهمينني؟ أي نوع من الرجال يؤلف روايات كهذه؟»

حاولت هاريت أن تخفي ابتسامتها، فالروايات التي ألفها براد لم تكن على هذا القدر من الرداءة. إنها حقاً جريئة، لكنها ليست وقحة.

«إنه كاتب تجاري ذكي. لا تنسي يا أمي أن رواياته تباع بالملايين! فالناس معجبون بهذا النوع من الكتب، أعني الناس العاديون، مثلي ومثلك.»

«هل تعجبك رواياته يا هاريت؟»

هزت هاريت بكتفيها وقالت: «لا اعتبر الروايتين الأوليتين قيمتين، لكنني استمتعت بقراءتهما آنذاك، أما هذه الرواية...»

انحنت وتناولت نسخة (هاي رايز) الموضوعة إلى جانبها على الطاولة وتابعت: «أما هذه الرواية فهي مختلفة تماماً.»

مدت جوليا يدها وتناولتها من يد هاريت، وسرعان ما قطبت وجهها حينما وقع نظرها على الغلاف: «ليست مختلفة بالنسبة إليّ!»

ضحكت هاريت وقالت: «هل تعرفين القول المأثور، لا تقيم كتاباً استناداً إلى غلافه.»

«هل تقصدين أن هذه الرواية لا تتضمن مقاطع جريئة؟»

«كيف لا! هذا واقع الحياة يا أمي!»

«هاريت!»

«ولمَ الخجل يا أمي؟ فالناس يميلون إلى الإطلاع على العلاقات العاطفية، والعلاقات العاطفية لا تخلو من المغامرة.»

رمقت جوليا ابنتها بنظرة مشككة: «وأية علاقة تربطك بكاتبنا الشهير؟»

كانت هاريت تعلم بأن أمها لن تفهم أبداً العهد الذي قطعته وبراد، فقالت من دون أن يرف لها جفن.

«إننا صديقان.»

خالجها فجأة شعور بالذنب، لكن سرعان ما استعادت رباطة جأشها وهي تفكر أن لديها الحق في أن تكون لها حياتها الخاصة. لقد أصبحت راشدة، لم يعد من واجبها أن تجيب عن كل سؤال يطرحه عليها أبواها، كما أنها تعلم بأن أمها ستقلق بشأنها إن عرفت الحقيقة.

سألتها أمها والشك لا يزال يساورها: «ومتى ستلتقيان مجدداً؟»

تظاهرت هاريت بعدم المبالاة وقالت: «لقد عرض عليّ براد أن يساعدني في إتمام مسرحيتي مساء يوم الجمعة

liilas.com/vb3 نور

المقبل. إنه يعتبرها عملاً قيماً، كما أن السيدة غلاغيرز دعتنا إلى ارتشاف الشاي مساء السبت.»

ثم روت لها قصة الهررة، وهي على يقين بأنها تصرفت تصرفاً صائباً. وبددت مخاوف أمها إذ جعلتها تظن أن براد ليس سوى جار لطيف وطيب القلب. وإذ استأذنت هاريت أمها كي تستحم وتبدل ملابسها، خرجت هذه الأخيرة من الغرفة من دون أن تحدث مزيداً من الجلبة.

رمت هاريت الأغطية أرضاً ثم نهضت من فراشها واتجهت نحو الحمام بحيوية لم تعرف لها مثيلاً منذ سنوات، ثم وقفت تحت شلال الماء الساخن...

وعادت بها الذكرى إلى أمسية الأمس حينما جلست إلى جانب براد وشرعا يتحدثان.

سألته عن سبب انتقاله للعيش في هذا الجبل المنعزل، ولم تخف عنه الخوف الذي ساورها في ذلك اليوم حينما ظنت أنه قد يكون مريضاً، فشحب لونه لبرهة، ثم ضحك وقال: «آسف لأني خيبت ظنك يا هاريت ولكن لا ألتمس المرض وصحتي جيدة جداً. إن خيالك خصب فعلاً! لقد نشدت هذه العزلة لأنني أرغب في أن أعيش في مكان هادىء. سوف أؤلف رواية أكبر وأفضل من سائر رواياتي ومختلفة عنها كلياً، رواية قيمة وعميقة الأفكار، زاخرة بالأعمال البطولية، تسرد حكايات الماضي والحاضر. ظننت أنني قد استمد من هذه التلال الساكنة القوة التي تمكنني من إنجاز هكذا عمل.»

قالت له هاريت: «ألن يخيب ظن قرائك؟»

فضحك ضحكة عريضة وقال: «كلا، سوف تتضمن

الرواية هذه مقاطع مثيرة أيضاً. فلنكف عن التحدث عني الآن. أخبريني عن نفسك. لمَ تخفي فتاة بذكائك نورها في ظل مدرسة ريفية صغيرة؟»

«لم آتِ إلى هنا إلا السنة الماضية. كنت أمارس مهنة التعليم في سيدني.»

«همم... غريب أمرك. كنت أظن أن فتاة مثلك كانت لتبقى في سيدني كي تتعرف إلى الرجل الأنسب. ألا ترغبين في أن يكون لك زوج وعائلة في يوم من الأيام؟»

أدارت رأسها إلى الناحية الأخرى خوفاً من أن تخونها عيناها أكثر مما خانتها مسرحيتها، إلا أن براد حاول ان يخفف من حزنها ويشجعها على إخباره أموراً لم تبح بها إلى أي شخص آخر. كان من الصعب أن تجد الكلمات المناسبة التي تعبر عن الإنهيار التام الذي أصابها حينما تخلى غراهام عنها، وكان من المستحيل أن تصف خيبة الأمل التي انتابتها إزاء ما فعلته بها أماندا، وفقدان ما بقي لديها من ثقة بالنفس وبأنوثتها.

وإذ بذاك الكابوس يساورها مجدداً، فأجهشت بالبكاء، فأخذ براد يخفف عنها بكلمات لطيفة ومهدئة. ما لبثت هاريت أن استعادت رباطة جأشها وثقتها بالغير. ربما كان براد يعيش حياة يعتبرها الناس غير أخلاقية، إلا أنه رجل لطيف ومتفهم ولن يتعمد إيذاءها على غرار غراهام وشقيقتها.

راحت هاريت تخبره عن الأيام الموحشة التي قضتها بعدما نبذت، فكانت تتذكر وهي تضحك ضحكة ساخرة:

«شرعت آنذاك أبني لنفسي عالماً جديداً، فاستأجرت شقة

lilas.com/vb3
نور

جديدة وحصلت على عمل جديد في المدرسة الثانوية في سيدني وبدأت أخرج في نهاية الأسبوع إلى السينما أو إلى المسرح، حتى أنني تلقيت دعوتين من رجلين كانا يتوخيان فقط قضاء أوقات مسلية. لم يكن لديهما أي اعتبار للحب، وقد شتمني أحدهما حينما رفضت ذلك.»

فقال لها براد: «إنهما حقيران!»

وتفاقم ألمها مع مرور الأيام، فأجهشت بالبكاء ذات يوم من أواخر أيام تشرين الأول (أكتوبر) في غرفة المعلمين ولم تقو على تمالك نفسها، فطلب أحد الأطباء التابعين لوزارة التربية إرسالها إلى أحد المصحات لعدة أسابيع من دون علم والديها، ثم نصحها بتغيير نمط عيشها، فعادت إلى منزلها لتعيش فيه ولتعلم في المدرسة الريفية.

وأبدى براد تفهمه لشعور الخيبة والخذل اللذان تملكاها حيال ما فعله بها غراهام وشقيقتها، وحيال التجربة المؤلمة التي عرفتها لاحقاً مع ذينك الرجلين، فقال لها: «لكن الناس بحاجة إلى بعضهم بعضاً، فالرجال بحاجة إلى النساء، والنساء بحاجة إلى الرجال.»

تثبتت هاريت من كلامه هذا حينما أدركت كم كانت بحاجة إليه. أما براد، فتابع يقول وهما في طريق العودة إلى منزلها:

«ليس الزواج أمراً ضرورياً لحياة هانئة وسعيدة. لست دميمة يا هاريت، بل إنك جذابة وفاتنة، وسوف تزداد جاذبيتك كلما تقدمت بك السن. ربما كان الرجال في الماضي يعتبرون ذكاءك مخجلاً وخطيراً. إنهم مغرورون،

لذا يؤثرون الفتاة الخاضعة الخانعة، لكن كلما تقدمت بهم السن، كلما رغبوا في الفتاة التي تتحلى بأكثر من الحسن والجمال. كم كان غراهام يبلغ من العمر آنذاك؟»

«كان في سن الرابعة والعشرين حينما خطبني. لقد بلغ الآن الثمانية والعشرين.»

«همم... لقد استنتجت من كلامك أنك جذبته معنوياً، لكنه لم يكن ليطلب منك الزواج لو لم يعجبه شكلك أيضاً. إذاً، هناك سبب لتراجعه. ربما كان لا يزال شاباً غراً آنذاك، يفتقر إلى الثقة بالنفس.»

تمتمت هاريت من دون اقتناع: «هل تظن ذلك؟»

فهز براد بكتفيه وقال: «لست متأكداً ولكن أظن أن تحليلي منطقي. على أية حال، لقد بات غراهام جزءاً من الماضي يا هاريت، عليك أن تفكري بالمستقبل من الآن فصاعداً. وسوف تنسين ما فعله بك غراهام ذات يوم وتغرمين برجل محظوظ وتتزوجين به. ولكن في غضون ذلك...»

«في غضون ذلك؟»

قال موضحاً: «في غضون ذلك، أرغب في أن أكون صديقك.»

في غضون ذلك... لم تكن هاريت لترفض عرض براد، لكنها سرعان ما أدركت بحزن أن عرضه هذا مؤقت... أجل، هكذا يعيش براد حياته.

لم تستطع هاريت أن تنكر أن هذا العرض أثار البهجة في نفسها، فالشعور الذي كان يجذبها إلى براد أقوى من الشوق، إنه الحب.

وإذ بصوت الحقيقة يصرخ في داخلها محذراً، لا تطلقي

liilas.com/vb3 نور

العنان لخيالك يا هاريت، فبراد لا يقع في حب أية امرأة. إنه معجب بك فقط.

خرجت هاريت من الحمام وتناهى إلى مسمعها طرق على باب غرفتها وصوت أمها يناديها: «إن براد يتصل بك هاتفياً يا هاريت.»

براد؟ براد يتصل هاتفياً؟ كان قد حذرها بأنه لن يتصل بها، فهو ينسى كل شيء عندما ينقطع إلى الكتابة، حتى أنه اقترح عليها أن تأتي إليه بنفسها يوم الجمعة المقبل لأنه لن يمر بمنزلها لاصطحابها.

«أنا آتية! سوف أكلمه من مكتب أبي.»

«حسناً.»

سمعت هاريت وقع خطى أمها وهي تسير في الممر، فتناولت ثوباً وارتدته، ثم خرجت من غرفتها مهرولة. لم يكن مكتب أبيها سوى على مسافة بابين، وهو لا شك خالٍ لأن اليوم يوم سبت.

دخلت الغرفة وتناولت سماعة الهاتف الموضوعة على الطاولة وقالت: «براد؟ ما الأمر؟ قلت لي إنك لن تتصل.»

«لمَ تلهثين؟»

«كنت في غرفتي، فركضت إلى هنا كي لا أدعك تنتظر.»

سمعته يتنهد بعمق، فسألته وهي ترتجف: «ماذا تريد يا براد؟»

فقال بصوت فظ: «كنت قلقاً بشأنك.»

«كنت قلقاً؟»

«أجل...»

تردد قليلاً، ثم تابع:

«قد تساورنا مشاعر غريبة في الصباح... فكرت فيك وقلت لنفسي لمَ لا نخرج معاً؟»

«نخرج معاً؟»

«لا تكوني بليدة يا هاريت! أنت تعرفين جيداً ماذا أقصد. بإمكانك أن تنكثي العهد الذي قطعناه بالأمس إن شئت، فنعود صديقين، مجرد صديقين. لن أرغمك على القيام بأي فعل.»

اعتصر الألم قلب هاريت لدى سماعها كلامه هذا. هل كان يسهل عليه الفراق بهذه السهولة بعدما تكلما به ليلة أمس؟ كانت تظن أن العلاقة التي تربطهما مميزة، ترتكز على العناية والمشاركة المتبادلة. لكن هاريت ما لبثت أن تذكرت بأنها ليست الفتاة التي يرغب بها أحد لفترة طويلة. كانت قد نسيت هذه الحقيقة لبرهة، أو بالأحرى، كان براد قد جعلها تتجاهلها بكلامه.

قالت بلهجة حادة: «ربما أنت هو من يحتاج إلى الخروج وليس أنا.» وإذ بصمت ثقيل يرجع صدى كلماتها، فخشيت هاريت أن تكون علاقتهما قد ماتت، وهي لن تقوى على تحمل ذلك، فقالت بصوت أجش: «براد؟ هل مازلت تسمعني يا براد؟»

«أجل...»

كم كان صوته غريباً، حزيناً...

«أنا آسفة. ظننتك تحتال علي...»

«يا لك من غبية!»

«إذاً، كل ما بيننا على مايرام؟»

ضحك ضحكة لم تعهدها هاريت، ضحكة كئيبة.

lilas.com/vb3 نور

«أجل يا هاريت.»

قالت له مازحة: «ألا تقصد طالما رغب قلبانا ببعضهما؟»

«لا دخل لقلبينا في علاقتنا هذه يا هاريت. أظن ذلك واضحاً.»

هكذا إذاً، لقد كان براد يخشى أن تقع في حبه. كان بوسعها الآن أن تفهم سبب قلقه، لأنها هي نفسها كانت قلقة، فهي على وشك ألا تميز بين الصداقة والحب.

«اسمع يا براد، إن الإعجاب هو إيضاً شعور نابع من القلب، وأنت تعلم مدى اعجابي بك. هل أنت معجب بي أيضاً؟»

«لا تخدعي نفسك يا هاريت.»

«أنت قلق بشأني لأنك تخشى أن أغرم بك، أليس كذلك؟ قد أكون ساذجة بعض الشيء، لكنني لا أميل إلى تعذيب نفسي!»

كانت ضحكته الآن ضحكة مرحة فقال: «يسرني سماع ذلك. حسناً، أظن أنه عليّ استئناف عملي الشاق، فالكتب لا تؤلف نفسها بنفسها، لسوء الحظ.»

«ظننتك تستمتع بالكتابة.»

«أنا استمتع بها فعلاً، لكن بعد أن آخذ قسطاً من الراحة، لكن الراحة تستحيل عذاباً سيما أني لا أنفك أفكر بفتاة.»

احمرت وجنتا هاريت خفراً. من حسن الحظ أنه لم يرها وهي على هذه الحال.

«قد ترغب هذه الفتاة بالمجيء إليّ، فأعرض عن الكتابة كي...»

قاطعته هاريت وهي تضحك ضحكة رنانة كي تلهي نفسها عن الفرحة التي تملكت قلبها وعقلها. وترجع في داخلها صدى صوت يحثها على تلبية طلبه، لكن صدى آخر

ما لبث أن تردد في ثنايا نفسها يحضها على الرفض وينصحها بكبت فرحتها، فقالت بهدوء مقنع: «أنا آسفة، لدي أعمال أخرى أنجزها اليوم.»

صاح وكأن رفضها أدهشه: «وما هي؟»

«علي أن أصحح ثلاثين اختباراً حول شكسبير، ناهيك عن الأعمال المنزلية المتراكمة، فليس للناس العاديين مثلنا خدام وطباخون يقومون بهذه الأعمال.»

قالت ذلك وكأنها تريد أن تعيره باستخدامه الخادمة من الاثنين حتى الجمعة.

«أنت قاسية القلب يا هاريت، هل تعلمين ذلك؟»

«لقد علمني أساتذة بارعون ذلك.»

قال بسخرية: «لا ريب في أنك لا تقصدينني، فأنا رجل لطيف.»

«أنت لا تعرف اللطف يا براد بارينغتون.»

«هذا هو سبب إعجاب النساء بي.»

«أنت مثير للإشمئزاز.»

«يا للإطراء! إذاً، عليّ أن انتظر حتى يوم الجمعة آه... كما تشائين، ولكن لا تلوميني على ما قد افعله بعد ستة أيام طويلة من الفراق!»

هكذا أنهى براد مكالمته، وترك هاريت غارقة في بحر من الأضطراب. ادثرت جيداً بالثوب ثم عادت إلى غرفتها ورمت نفسها على الأغطية المغضنة. كانت تدرك تمام الإدراك أنها يجب أن تعيد النظر في العلاقة التي تربطها بهذا الرجل، لكن إدراكها لم يحل دون إلحاح أمنية كانت تملأ قلبها: ليتها استجابت لطلب براد!

تنهدت ورفعت عينيها نحو السقف وهي تقول في نفسها إن الأسبوع المقبل سوف يكون طويلاً ومملاً.

إلا أنّ هاريت أخطأت الظن فقد زف إليها تلميذها المصاب بالتأتأة خبراً سعيداً، وهو أن العلاج الذي نصحته باتباعه كان ملائماً، وأنه سينتقل وطبيبه إلى سيدني حتى يشتري الادوية المناسبة، فشعرت هاريت أن هذا الخبر بادرة أمل أثلجت صدرها.

أما يوم الاثنين، فقد التقت هاريت ببعض المعلمين الذين أثنوا عليها عاطر الثناء، حتى أن المسؤولة عن المكتبة سألتها إن كانت قد ابتاعت مستحضراً للتجميل خاصاً ببشرة الوجه، ومما قالته لها: «كم تبدين جميلة ونضرة! هذا يعود لحلول فصل الربيع. أليس كذلك؟»

كانت هاريت تضحك كلما قدم لها أحد إطراءً، لكن السرور كان يملأ قلبها، فقلما تلقت ثناءً على مظهرها الخارجي. لا ريب في أن الأمسية التي أمضتها مع براد كان لها أثراً كبيراً وقوياً.

ويوم الثلاثاء، تناهى إلى مسمع هاريت صفير صبي في العاشرة من عمره، فابتسمت له، مما حمل أحد رفاقه على الصفير أيضاً.

هذه الأحداث كلها جعلت هاريت تشعر وكأنها ولدت من جديد، فذهبت مساء الخميس إلى السوق لتبتاع ثياباً جديدة تلائم شخصيتها الجديدة.

اشترت ثلاث تنانير وبنطالين أنيقين، واختارت قمصاناً حريرية مختلفة عن ثيابها الكلاسيكية، وزاهية الألوان، كما أنها ابتاعت سترة سوداء في غاية الأناقة كي

ترتديها مساء الجمعة، وهي سترة تتناسب والتنورة الخضراء القاتمة.

استلقت هاريت على فراشها بعدما عادت من السوق، لكن النعاس لم يعرف إلى جفنيها سبيلاً من جراء شعور الانفعال الذي كان يتملكها.

حينما نهضت في اليوم التالي، كان هذا الشعور قد تفاقم، حتى أنها أحست بانقباض في معدتها. إنها على وشك أن تلتقي براد بعد بضع ساعات، وقد اخبرت أمها أن براد سيساعدها في صياغة مسرحيتها.

كان يشق عليها أن تصدق بأن ما حصل بينها وبين براد في نهاية الأسبوع الفائت حقيقي. لكن شعوراً ظل يحدثها بأن علاقتهما لن تدوم وبأنه سيأتي اليوم الذي يتخلى فيه عنها. إلا أن قلبها أبى أن يصدق هذا الشعور، فعقدت العزم على الإستمتاع بحياتها قدر المستطاع.

كانت شاردة الذهن في المدرسة، يعتريها شعور بالفرح ممزوج ببعض التشنج. بدت لها المسافة لا متناهية وهي عائدة إلى المنزل.

سرت هاريت إذ ألفت والدتها غائبة عن المنزل، فهي لن تطيق أن تجيب عن اسئلة محرجة: لماذا ترتدي ثياباً جديدة إن كانت تتوخى فقط العمل على مسرحتيها، ولماذا تبدو سعيدة، ولماذا... ولماذا...؟

نظرت هاريت إلى نفسها في المرآة المستطيلة الموضوعة في غرفة أماندا، فأدركت أن ثيابها ليست كلاسيكية فتداعت ثقتها فجأة وأحست انها تلائمها.

«كلا... لا يمكن أن أرتدي ثياباً كهذه.»

lilas.com/vb3 نور

قالت ذلك وهي تتنفس بتقطع. ولكن ما إن استدارت لتخرج من الغرفة حتى وقع بصرها على صورة أختها أماندا، فسرعان ما غيرت رأيها وقالت وهي تصرّ على اسنانها: «ولمَ لا؟ إنها تلائمني كل الملائمة!»

الفصل التاسع

لا ريب في أن براد شعر بقدوم هاريت، فهبط السلالم لملاقاتها. كان يبدو في غاية الوسامة وهو يرتدي سترة رمادية وبنطالاً ملائماً. ابتلعت هاريت ريقها حينما وقع بصرها عليه، فشق عليها مجدداً أن تصدق بأن هذا الرجل الوسيم هو فعلاً صديقها. سرت رجفة انفعال في عروقها لما دنا من السيارة وفتح الباب.

lilas.com/vb3 نور

رفع حاجبيه حينما ألقى نظرة خاطفة على ثيابها الأنيقة، فقال لها: «أنت على علم بأننا لن نخرج.»

كانت هاريت فخورة بالبسمة الواثقة التي ارتسمت على شفتيها وهي تترجل من السيارة.

«أجل، ولكن رغبت في أن أرتدي ثياباً أنيقة. ما رأيك بها؟»

«إنها فاتنة.»

ثم ضحك وقال: «لكنها تعجبني! لقد اشتقت إليك يا هاريت.»

أضاف: «أنا معجب بك بشدة يا هاريت، أرجوك، لا تصديني.»

فغصت وقالت: «كلا، لن أصدك.»

مرت الثواني، وانقضت الدقائق ومضت الساعات وبراد وهاريت يعملان على مسرحيتها دون أن يشعر بمرور الوقت.

وإذ أسدل الليل ستاره الحالك، جلسا ليشربا فنجاناً من القهوة، فقال لها براد: «أنا آسف يا هاريت. أشعر انني استغل صداقتنا يا هاريت دون أن أقدم لك شيئاً في المقابل.»

انفطر قلب هاريت إزاء الحزن الذي كان يتملك براد، وراحت تتساءل في قرارة نفسها عن سببه؟

«لا أفهم ماذا تقصد بكلامك يا براد. إن كنت تستغلني، فانا أستغلك أيضاً.»

نظر إليها بعينين حزينتين، فتابعت تقول: «لقد قلت إننا صديقان، والصديق لا يستغل صديقه، بل على العكس يساعده. ألا تقدر مساعدتك إياي يا براد؟ لقد أضحيت فتاة مختلفة، فتاة سعيدة وواثقة. سوف أكون ممتنة لك مدى الحياة.»

تنهد وقال: «آمل ذلك. صدقيني أنا لن أطيق العيش يوماً واحداً إن شعرت بانني ألحقت بك الأذى. يجب أن تعلمي كم أنت مختلفة عن سائر النساء اللواتي عرفتهن. إنك تفوقينهن رقة ولطفاً وضعفاً...»

«لست ضعيفة كل هذا الضعف. لقد مررت بتجارب قاسية من أجل رجل أحببته يا براد. لن أعيد الكرة بسهولة.»

وطال به النظر إليها.

فوثب قلبها وثبة مفاجئة، وسرعان ما أدركت وهي تحبس أنفاسها انها تحبه.

فسألها إذ رأى تبدل سحنتها: «ما بالك؟»

وكأن إدراكها سلب منها قدرتها على الكلام، وسرعان ما استحال يقيناً: انه حب مختلف عن الحب الذي شعرته مع غراهام، مختلف كل الاختلاف. إنه حب واقعي، حب عميق،

وليس حباً خيالياً. إنها متيمة ببراد، ولم تتيم قط بغراهام. وعقدت هاريت العزم على أن تصون حبها لهذا الرجل حتى آخر يوم في حياتها. ربما لن يتخلى براد أبداً عن حياته كعازب، وربما لن يتزوجها، لكن الزواج ليس بالخيار الأخير والمحتم، فالتعبير عن العناية والالتزام يمكن أن يتم بشتى الطرق.

شرعت هاريت تسأل بحذر: «لِمَ أراك حزيناً من حين إلى آخر؟»

سار نحو الموقد وتناول مسعراً ليحرك فتات الرماد تحريكاً عبثياً. طال به الصمت إلا انه قال وهو ينظر إليها بعينين قاسيتين: «لقد خضعت لفحوصات عدة تأكدت منها انني لا يمكن لي أن انجب.»

لم يكن بوسعها إلا أن تحدق إليه، إذ كان لكلامه وقوع الصاعقة، فتمتمت بصوت خافت: «لا يمكنك الانجاب؟»

فقال بنبرة باردة: «ولِمَ الذهول؟ إنه الواقع.»

قطبت وجهها وكأنها تريد أن تطرد ذهولها حتى تتمكن من استيعاب كلامه، فسألته: «ولكن... كيف؟»

فقال لها بصوت أجش: «لن أخدعك. على أية حال ليس مهماً أن تعرفي السبب.»

وإذ به يعرض عن الكلام، فانتاب هاريت شعور بالخذل. كان ينبغي عليها أن تعرف ما جرى، فقالت بلطف: «لقد أخبرتك عن ماضيَّ يا براد. ألا تظن أنني أستحق الثقة نفسها؟ أليس ذلك من شيم الصداقة؟ أنت من قال لي إن الناس بحاجة إلى بعضها بعضاً. هيا يا براد، تحدث إليَّ، أخبرني ما جرى.»

liilas.com/vb3 نور

حدق إليها لبرهة، ثم ابتسم ابتسامة ساخرة وقال: «أخشى أن تسيئي الظن بي.»

أما هي، فابتسمت له ابتسامة حارة، مشجعة، لكن نظراته غدت أكثر قساوة، فأحست هاريت بقلبها يهبط في صدرها.

رآها تهز كتفيها وترتجف فقال: «حسناً، لكن لا تظني اني ضحية مأساة عشتها، فأنا لا أطيق الشفقة.»

وسرعان ما تردد في كلامه، إلا انها أبت أن تتفوه بكلمة خوفاً من ألا يكمل شرحه.

تنهد تنهداً غاضباً وقال:

«كنت أبلغ من العمر واحداً وعشرين عاماً حينما تزوجت هيلين، وكنت قد تخرجت حديثاً من الجامعة وحزت شهادة عالية في الأدب. كنت أتحرق شوقاً إلى الكتابة، فوافقت هيلين على مساندتي حتى أنقطع إليها انقطاعاً كاملاً. كنا مثاليين، ومتأكدين بأن الحب والتضحية سينتصران في النهاية.»

ضحك ضحكة حزينة، وتابع يقول: «لكن الحياة لم تكن سهلة بالنسبة إلينا. انقضت سبع سنوات ألفت خلالها خمس روايات رفض الناشرون نشرها، وفي الوقت نفسه اتفق أن تكون هيلين حاملاً. كانت تعاني مشاكل صحية. لن أشرح لك ذلك شرحاً طبياً دقيقاً، ولكن اتضح في النهاية أن حملها يشكل خطراً على حياتها، فأجهضت في شهرها الخامس وكادت أن تموت. فأشار عليها طبيبها ألا تحبل ثانية، فقررت حينئذٍ أن أخضع لعملية تمنع قدرتي على الانجاب ظناً مني أن هيلين قد عانت ما فيه الكفاية. إلا ان القدر شاء أن تصاب بمرض عضال نهش

قلبها وأودى بحياتها بعد بضعة أشهر. وهكذا كان. هذه هي القصة.»

رفع نظره نحو هاريت، فأذهلتها قساوته. لم ترتسم على وجهه أية امارة من امارات الاضطراب أو التأثر، وكأنه أخذ هذا الفصل من حياته ورماه في طي النسيان. لقد تأثرت هاريت تأثراً بالغاً للتجربة المريرة التي عاشها براد آنذاك، لكنها لم تطق طريقة الحياة التي اختار أن يعيشها مذاك. لقد مرت حوالى عشر سنوات على وفاة زوجته! صحيح ان براد عاجز عن إنجاب الأطفال، لكن رجلاً مثله ما زال قادراً على العطاء، فلا داعي إلى أن يبحث عن امرأة وهو محاط بالحب والالتزام. هذا ليس خطأ فحسب، بل إنه خسارة فادحة!

كلما جالت هذه الأفكار في رأسها، كلما شعرت هاريت بالثورة وليس بالتأثر. يا لسخرية القدر! هذا هو الرجل الذي يحثها على مواجهة الأمور، فيما يختار لنفسه الطريقة الأسهل ويتهرب من كل حجر عثرة! كيف يجسر على القول انه ليس نادماً على ما فعله! هذا خير دليل على أنه يخدع نفسه ويضللها، أجل، إنه حقاً يضلل نفسه. لم تكن صورة براد اللطيف لتمحو من ذهن هاريت الصورة البشعة والحقيرة التي تجلت لها الآن. ربما كان يتكلف اللطف حتى لا يشعر بالأذى ثانية، لكن ذلك ليس عذراً مقنعاً إذ يكفيه ما هدره من وقت!

عقدت هاريت العزم على تحطيم هذه الصورة الهشة بأي ثمن، فقالت بجد: «لقد فهمت.»

«حقاً؟ أشك في ذلك.»

«لقد فهمت حق الفهم.»

lilas.com/vb3 نور

وإذ بصوتها الغريب يلفت انتباهه. «لقد أحزنك فقدان زوجتك، إذ كنت تظن بأنك فعلت ما في وسعك فعله من أجل كئابتك وعائلتك، ولكن من دون جدوى. فرحت تؤلف روايات تافهة وكأنك تريد أن تنتقم من الحياة، فازدريت بالمبادىء التي كنت تتشبث بها. هل حمل لك نجاحك السعادة يا براد، أو انه أذكى الحزن في قلبك؟ فشرعت تلاحق النساء التافهات إرضاءً لنزواتك، وليس لأي شيء آخر. أجل يا براد، أنت لست سوى طيف رجل، طيف رجل تافه لا يجدي نفعاً...»

رأت الحمرة تعلو وجهه، وشعرت بالغضب يتأجج ناراً في قلبه.

لم يرف لها جفن حينما رأته ينظر إليها بسخط. أجل، لقد نفذت إلى أعماق سريرته، ربما كان كلامها جارحاً، لكنها فلحت في كسر الجليد الذي كان مدثراً به، فبان لها إنسانه الحقيقي. فدمدم عليها: «ويحك يا هاريت! ويحك!»

فتمتمت بصوت أجش: «هذه هي الطريقة الوحيدة التي تعبر بها عن مشاعرك. أنت لا تجيد حتى الغضب يا براد!»

شعرت لبرهة بأنه سينهال عليها ضرباً، إلا انه انتصب بعيداً عنها وتمالك نفسه وقال مزمجراً: «الأفضل أن ترحلي من هنا قبل أن تسوء الأمور بيننا.»

ثم أدار لها ظهره وهم بالخروج، فصاحت به: «كلا!»

استدار ثانية وقد شحب وجهه سخطاً: «ألا تستجيبي أبداً لما يقال لك؟»

«ليس من الآن فصاعداً.»

فتمتم: «ليس من الآن فصاعداً... هل من خطأ لم اقترفه في هذا العالم؟»

«أجل... التعرف إلى هاريت ويذرسبون الحقيقية.»

حملق إليها طويلاً، وهو يكاد لا يتمالك السخط المتفجر في داخله، فخالجها شعور بالخوف. ربما تخطت حدودها معه، أو ربما أسرفت في انتقاده. ربما لم تفلح في كشف النقاب عن إنسانه الحقيقي، ربما ما تراه منه الآن هو وجه آخر من وجوه كآبته، وجه من وجوه العنف الخفي الذي يوشك أن ينفجر انتقاماً من الحياة ومن الإنسان الذي يعيشها.

كانت تنظر إليه وقد جف حلقها، فرأت حاجبه الأيسر يرتفع بسخرية.

«إذاً، أنت باقية.»

كان شعور فطري يحدثها أن عليها أن تلوذ بالفرار، لكن الحب، على ما يبدو يتغلب على المشاعر كلها، حتى الشعور بالخوف.

كان ينبغي عليها أن تبقى، كان يتعين عليها أن ترشده إلى الصواب. لم تكن تخدع نفسها حينما تأكدت من أنها قادرة على حمله على حبها. لم يكن ذلك حلماً لأنها على يقين بأن الشعور الذي يضمره لها مختلف كل الاختلاف عن الشعور الذي كان يكنه لسائر النساء. لقد تيقنت من أنه معجب بها إعجاباً بالغاً.

وإذ به يقول بفظاظة: «أنت لا تدرين ماذا تفعلين.»

رفعت ذقنها بحركة تحدٍ وعناد وقالت: «أجل، أنا أدري ماذا أفعل. اني باقية.»

انثنت عيناه وهو يتفرس فيها، ثم هز كتفيه فجأة، فارتسمت على وجهه امارات كان يكتمها إلى الآن، امارات

liilas.com/vb3
نور

الازدراء واللامبالاة. «إذاً من الأفضل أن أحضر الحساء لنتناوله معاً.»

«حسناً.»

«وسوف نتكلم لاحقاً.»

«علامَ؟»

«علينا نحن الاثنين.»

«لماذا؟»

رمقها بنظرة قاسية وقال: «سوف تكون نهاية الاسبوع هذه مسك الختام. لست مؤهلة لعلاقة كهذه يا هاريت، فأنت عاطفية جداً. لقد كنت مغفلاً حينما جعلت الأمور تتطور بيننا.»

لم تقوَ هاريت على الكلام، فقلبها كان ينبض بجنون، بيأس. لكن كان ينبغي عليها أن تتكلم، أن تقنع براد بأنها قادرة على المضي قدماً في علاقتهما، وإلا سوف تتمنّع عن رؤيته ثانية. طعنت هذه الفكرة قلبها كالخنجر، فشعرت وكأن روحها تدمع حزناً.

حاولت أن تضحك ضحكة خافتة، فقطب براد جبينه.

فقالت بهدوء: «لا تكن متشائماً كل هذا التشاؤم يا براد! ربما كنت عاطفية ومضطربة منذ قليل... كنت غاضبة منك. وكيف لا أغضب؟ لقد أفصحت لك عن ماضيّ كله، أما أنت، فلم تخبرني شيئاً. كنت تدعي بأنك صديق لي، لكنك لم تثق بي.»

دنت منه ببطء وتابعت تقول: «أحب أن أكون برفقتك. أحب أن أقف إلى جانبك. لا تتخلى عني...»

نظرت إليه بخجل وأضافت: «لقد قلت لي إنك تميل إلى

قضاء أوقات طيبة مع الأصدقاء، وانك تحتاج إلى ذلك. من الصعب أن تجد امرأة غيري في فاليز إند.»

أطال تفرسه فيها وكأنه يحاول أن يستشف الهدف الذي كانت ترمي إليه من جراء كلامها هذا، وقال لها ببطء: «تجيدين ممارسة السياسة يا هاريت، لأنك تحسنين جذب الغير واستغلاله. إنك تدركين تمام الإدراك انك تهدرين وقتك معي. كان في امكانك أن تبحثي عن الرجل المناسب.»

«سوف أبحث عنه يا براد، ولكن في غضون ذلك...»

افترت شفتاها عن ابتسامة ساخرة، فرد لها الابتسامة عينها: «لقد اعتدت تكرار كلامي، أليس كذلك؟»

فتمتمت قائلة: «هلا توقفت عن الكلام يا براد؟ عليك أن تأخذ قسطاً من الراحة لأنك سوف تبذل بعض الجهد لاحقاً...»

قال لها بلهجة محذرة: «إنك تلعبين بالنار يا هاريت... آمل ألا تحرقي نفسك...»

lilas.com/vb3 نور

الفصل العاشر

قالت السيدة غلاغيرز: «يسرني مجيئك يا هاريت.» ثم ضحكت ضحكة خجولة وأضافت: «كنت أخشى أن تتصلي بي وتعتذري عن تلبية الدعوة.»

كانت وهاريت تغسلان وحدهما الأطباق في المطبخ عقب طعام العشاء اللذيذ.

«ما كنت لأدع عشاء شهياً كهذا يفوتني!»

ابتسمت هاريت وهي تسترجع في ذاكرتها كم كانت قلقة صباح يوم السبت هذا، إذ توقعت في كل لحظة أن يتصل بها براد ويعتذر عن تلبية دعوة السيدة غلاغيرز.

وتابعت العجوز تقول: «هل تعلمين يا هاريت أنك تبدين جميلة جداً هذه الأيام؟ فوجنتاك ورديتان وعيناك ملتمعتان...»

فقالت هاريت وهي تنظر إلى الأطباق التي بين يديها كي تتجنب تينك العينين الزرقاوين الثاقبتين: «أظن أن مناخ الريف يلائمني.»

«هل أنت متأكدة من أنه لا دخل لذاك الرجل الوسيم الجالس هناك؟ لو لم أكن أعرفك حق المعرفة، لخلتك متيمة به.»

احمرت وجنتا هاريت. كانت على وشك أن تغيّر الحديث حينما رفعت ناظريها فرأت براد يراقبها من المدخل.

«براد! لقد أفزعتني.»

لم يبدِ براد أية ردة فعل، بل اكتفى بالقول: «حقاً؟»

فقالت السيدة غلاغيرز وهي تنزع السدادة من الحوض: «ستأخذ معك الهرة الصغيرة إلى المنزل، أليس كذلك يا براد؟»

أجابها وهو يسير نحو السلة ليأخذ منها الحيوان الصغير: «أجل، بما أننا نتكلم عن المنزل، علينا أن نذهب يا هاريت.»

ثم توجه إلى مضيفتهما قائلاً: «لقد سهرت حتى ساعة متأخرة ليلة أمس.»

احمرت وجنتا هاريت احمراراً قاتماً إذ تذكرت الحوار الذي دار بينهما في الأمس.

ماذا دهاها؟ لماذا تعلق مصيرها بمصير رجل مثله؟ لقد رفض التحدث عن ماضيه ثانية، وأوضح لها أن هذا الموضوع ممنوع التحدث فيه. لم يكن يطلب منها سوى إطاعته، وإلا الافتراق. لو كان لديها أدنى شعور بعزة النفس، لأبت أن تقبل باتفاقه هذا، لكن الحب يتنافى وعزة النفس...

قالت السيدة غلاغيرز فيما كانت ترافقهما إلى باب المدخل: «أكرر لك شكري على الآلة الكاتبة يا براد. لم أباشر صياغة كتابي بعد، لكنني سأبدأ قريباً.»

كانت هاريت تحتضن بريدجيت فيما كان براد يقود السيارة. لم يسلك براد طريق ميست ماونتن كما توقعت، بل اتجه نحو الطريق المؤدي إلى منزلها.

أوقف براد السيارة في ظل الأشجار التي تزنّر الدرب الداخلي، فبقيت هاريت جالسة في مقعدها وهي تلتزم الصمت. كان ضوء القمر خفياً، فبدت السيارة وكأنها غارقة

في ظلام دامس، فتوجست هاريت شراً. قالت له بصوت أجش: «هكذا إذاً.»

لم تسمع منه أية إجابة، فاستدارت نحوه وهي تداعب الهرة النائمة في حضنها بيد مرتجفة. «لماذا يا براد، لماذا؟»

وإذ بالهرة تستيقظ وتموء، فمد براد يده وحملها. كانت هاريت عاجزة عن رؤية ملامح وجهه في الظلمة، إلا أنها كانت تعلم كم كانت قاسية.

ثم أضافت بصوت ملؤه اللوم: «لقد سمعت ما قالته السيدة غلاغيرز، أليس كذلك؟ إنها تظن أنني مغرمة بك.»

«أرجوك يا هاريت، لا تستفزيني.»

ضحكت ضحكة شبه هستيرية وقالت: «أنا أستفزك؟ هذا لا يزعجني. أنت لا تستحق بذل أي جهد يا براد بارينغتون. لا يسعني أن أفهم كيف يمكن أن تظن أن امرأة تحترم نفسها قد تغرم بك. إنك رجل سافل وعديم الإحساس لا تملك سوى وجه وسيم وخيال خصب.»

«هاريت، أنا...»

«اصمت يا براد. لقد قلت ما فيه الكفاية.»

قالت ذلك ثم ترجلت من السيارة وأغلقت الباب بعنف، وصاحت عبر زجاج النافذة: «إياك أن تتصل بي! سوف أتصل بك ان شئت.»

استغرق بلوغها باب المدخل عدة ثوان. كانت عيناها مغرورقتين بالدموع، وإذ لم تسمع سوى وقع خطواتها يترجع في الفضاء، قالت لنفسها بصوت مخنوق: لمَ لم يرحل بعد؟ فليدعني وبؤسي!

كانت يدها ترتعش وهي تمسك بالمفتاح حينما تناهى إلى مسمعها هدير المحرك، فشعرت بانقباض في قلبها وأجهشت بالبكاء.

أدخلت المفتاح بالقفل وهي تكفكف دموعها. كانت الأنوار لا تزال مضاءة في الداخل، فلم ترغب في أن يرى أحد أثر العبرات على وجنتيها.

فتحت الباب بعدما استعادت رباطة جأشها، فرأت النور ساطعاً في غرفة الجلوس والمطبخ الخاليين، فأطفأته وهرولت إلى غرفتها محاولة تجنب الأسئلة.

أدهشتها رؤية النور ينساب من تحت باب غرفتها، ففتحت المصراع والدهشة لا تزال بادية على وجهها.

كانت أماندا مستلقية على سريرها وبين يديها كتاب هاي رايز، فقالت: «مرحباً يا هاريت.»

قالت هاريت وقد تولاها الخذل: «ماذا تفعلين هنا؟»

وضعت أماندا الكتاب جانباً ورفعت نفسها كي يتسنى لها الجلوس، ثم أزاحت خصل شعرها الأشقر الطويل عن عينيها الزرقاوين الكبيرتين.

«يا لهذا الترحيب!»

رمقتها هاريت بنظرة ثاقبة وقالت: «لن تبتهج نفسي بعودتك.»

«من الواضح انك لم تتخلي عن لسانك السليط يا أختي العزيزة.»

قالت أماندا ذلك ثم حملقت إليها من رأسها حتى أخمص قدميها وأضافت: «ولكن من الواضح أيضاً أن هناك بعض التغييرات، لقد أضحيت أنيقة جداً، أليس كذلك؟»

liilas.com/vb3 نور

ثم عادت وأخذت كتاب هاي رايز وأغلقته، وأشارت إلى صورة براد الموضوعة على ظهر الغلاف: «أخبريني يا هاريت، هل هو صديق جيد كما يبدو في الصورة. لقد أخبرتني أمي كل شيء، فلا داعي للإنكار. إن رجلاً مثله لن يلاحقك من أجل الصداقة فقط.»

أجابتها هاريت: «إن براد صديقي طبعاً، وبما انك سألتني عنه، فهو ممتاز. إنه الأفضل.»

«الأفضل؟ وهل لديك معايير كثيرة للمقارنة؟»

حاولت هاريت أن تحافظ على رباطة جأشها، فرفعت أحد حاجبيها بسخرية وقالت: «اسمعي يا أماندا، لقد مرت أربع سنوات على رحيلك، وقد أمضيت ثلاثاً منها في المدينة. هل تظنين أنني قضيت وقتي كله أتحسر على غراهام المسكين؟»

تولت الدهشة أماندا، ففتحت فاها.

«هلا نهضت من سريري؟ أنا متعبة بعض الشيء. لقد أطلت السهر مؤخراً.»

قالت ذلك بنبرة لاذعة وهي على يقين بأن شقيقتها فهمت معنى كلامها.

قطبت أماندا وجهها وانتصبت فجأة، فلاحظت هاريت أنها سمنت.

شعرت هاريت بشيء من الغرور حينما رأت ان جمال أختها قد ذوى في سن الثالثة والعشرين.

قالت لها أماندا وهي متجهمة الوجه: «لم تسأليني عن سبب عودتي.»

كانت هاريت ترتب سريرها، فأجابتها من دون أن تنظر

إليها: «إنه السؤال الأول الذي طرحته عليك حينما دخلت الغرفة، لكنك لم تريدي اخباري.»

«لا تكوني لئيمة ياهاريت! أنت لم تتغيري قط! انك لا تنفكين تتباهين بذكائك، فأشعر بأنني أقل شأناً منك!»

انتصبت هاريت وقد تولتها الدهشة، ثم نظرت إلى أماندا، فادركت أن هذه الأخيرة تحسدها، أجل، لقد كانت تحسدها فعلاً!

أذهلتها الحقيقة التي تجلت لها فجأة: أماندا تحسدها هي! أماندا لديها الشعور نفسه الذي تملكها ولكن لسبب مختلف!

لقد هوت رغبتها في الانتقام أمام هذا الإدراك المفاجيء: ان هاريت تتفهم حق التفهم ما يمكن أن يشعر به الإنسان إن أحس بانه أقل شأناً من غيره!

قالت بصدق: «أنا آسفة يا أماندا، فلم أدرك... اسمعي، لم لا تجلسين وتتحدثين إليّ؟ هل لديك مشكلة؟»

انثنت عينا أماندا، فما لبثت هذه الأخيرة أن أجهشت بالبكاء. دنت منها هاريت وضمتها إليها ضمة شديدة وهي تتساءل كيف يمكنها أن تشعر بهذا الدفق من الشفقة والحنان إزاء هذه الفتاة. لكنها كانت تعلم في قرارة نفسها أنها تحب شقيقتها حباً جماً، وإلا، لم تكن لتتأذى من خيانتها إياها.

«اهدأي يا أماندا، لا تبكي. هاريت هنا لتساعدك. تعالي واجلسي على السرير واخبريني ما الأمر.»

«أنت لا تحفلين بي. إنك تظنين أنني رحلت مع غراهام كي أؤذيك، ربما كان ذلك صحيحاً لكن الغلطة لم تكن غلطتي، صدقيني.»

liilas.com/vb3
نور

نظرت إلى هاريت وهي تطرف بعينيها ثم تابعت تقول: «لطالما شعرت أنني مغفلة. لم أفز بأية جائزة في المدرسة... أية جائزة! لم أكن أجدي نفعاً، كنت جميلة فقط... أماندا الجميلة البلهاء... هذا ليس عدلاً... أنا ذكية ولكن ما من أحد لاحظ ذكائي، فقررت أن أكون الشقراء البلهاء الحسناء التي يلاحقها الفتيان... ولكن...»

كان وجهها غارقاً في الألم، إلا انها أكملت كلامها: «كانوا يبغون مني شيئاً واحداً، وكنت أهرب منهم. وإذ بغراهام يأتي معك إلى المنزل، وما ان وقع عليه بصري حتى شعرت بأنه هو رجل أحلامي، لكنه كان معك أنت! كان الحسد يتآكلني، هل تسمعين؟ بذلت كل ما في وسعي حتى أجذب غراهام إليّ، أنا أعترف بذلك. لم يتعرف إلا على امرأة واحدة قبلك، وقد هزأت به. فكان يخشى أن يحاول ثانية، فسهلت عليه الأمور قدر المستطاع... لست على يقين من أنه أحبني، ولكنني لم أعر ذلك أي اهتمام لأنني...»

زمّت شفتيها ندماً، فقالت: «لأنني كنت مغرمة بغراهام أشد الغرام، فلم أقوَ على مقاومة رغبتي في الرحيل معه... لقد رفض ذلك في البدء... لقد أراد أن يواجهك، لكنني لم أقوَ على... أعرف انك تكرهينني، فلا ريب في أنني كنت كرهتك إن فعلت بي ما فعلته بك... ليتك لا تكرهينني يا هاريت، فأنا لا أحتمل ذلك...»

وإذ بها تنهار على السرير وتستر وجهها بيديها.

جلست هاريت إلى جانبها ووضعت يدها على كتفها وقالت: «أنا لا أكرهك يا أماندا، إنك شقيقتي وأنا أحبك.»

نظرت إليها أماندا بعينين واسعتين: «حقاً؟»

«طبعاً.»

صاحت أماندا وهي تضم شقيقتها إليها: «أوه... يا هاريت!»

قالت هاريت وقد شق عليها كتمان دموعها: «هيا يا حبيبتي، لا تبكي، يجب أن تكفي عن البكاء. هيا، امسحي عينيك واخبريني ما الأمر. أظن ان الأمر متعلق بغراهام، أليس كذلك؟ هل تخلى عنك؟»

«كلا...»

عضت أماندا على شفتها السفلى وأضافت: «أنا التي تخلت عنه.»

لم تخفِ هاريت دهشتها فقالت: «ولكن لماذا؟»

كانت أماندا على وشك البكاء ثانية، فصاحت قائلة: «لقد... لقد خانني!»

لم يكن لوقع كلام أماندا أي تأثير على هاريت، فاستغربت هذه الأخيرة الأمر. ألم يخنها هي أيضاً حينما رحل مع أماندا؟

شرعت أماندا تقول وقد طفرت الدموع من عينيها: «لقد أغوته إحدى طالباته بادعائها أنها بحاجة إلى دروس خصوصية. أنت تعرفين أن غراهام هو أفضل محاضر في الأدب في جامعة كاليفورنيا، فراح يلقنها الدروس ليلاً، وما لبثت حقيقة علاقتهما أن انتشرت في حرم الجامعة، لكن، بالطبع، كنت آخر من يعلم. واجهته بها، فلم ينكر. أوه... كان آسفاً على فعله، وأكد لي أنه لم يبغِ ذلك، لكن كان يشعر بأنني بعيدة عنه...»

liilas.com/vb3 نور

قاطعتها هاريت قائلة: «ولكن، لمَ بعدت عنه؟»

بدت أماندا مرتبكة: «كنت أشعر بأنني لست بخير... لم يفهمني... أقصد انني لم استطع اخباره... لم أكن متأكدة من...»

«تباً لك يا أماندا! أوضحي كلامك!»

«لا تصرخي بوجهي! الحقيقة أن... حسناً... أنا حامل، وغراهام ليس على علم بذلك لأنني لم أكن متأكدة في البدء. غالباً ما كنت أشعر بأنني مريضة، فظننت... وها إني قد أصبحت سمينة وقبيحة... أنا أكره نفسي!»

أغمضت هاريت عينيها... أماندا حامل... أماندا تحمل طفل غراهام وهي ليست على يقين من أنها ترغب في هذا الطفل... فيما هي عاجزة عن حمل طفل براد... آه كم كانت الحياة ظالمة!

فتحت هاريت عينيها أخيراً ووقفت واتجهت نحو الطاولة التي وضعت عليها فرشاتها. كانت أصابعها ترتجف فيما راحت تسرح شعرها.

«ساعديني يا هاريت!»

كفت هاريت عن تسريح شعرها وأرخت يدها إلى جانبها وقالت: «ليس بوسعي إلا أن أنصحك يا أماندا. إن كنت تحبين غراهام حباً حقيقياً، ارجعي إليه وقولي له إنك سامحته، ثم اخبريه بأمر الطفل، فأنا متأكدة من أنه سيتزوجك.»

تمتمت أماندا بحزن: «أنا لست متأكدة إن كنت أرغب في إنجاب طفل الآن. لطالما قال لي غراهام إنه يحب شكلي أكثر من أي شيء آخر، ففكرت في التخلص من

الجنين، لكنني لم أقوَ على ذلك. هل تظنين أنني أصبت فعلاً؟»

تنهدت هاريت وقالت: «طبعاً يا أماندا، على أية حال، أنا لا أفهم كيف يمكنك أن تخالي نفسك وأنت تتخلصين من طفل غراهام. لقد قلت إنك تحبينه، كان ينبغي عليك إذاً أن تبقي معه وتحلي الأمور العالقة بينكما. لا يمكنك أن تتهربي دائماً من المشاكل التي تواجهك.»

كانت هاريت تتكلم وبها شعور أنها تردد كلمات قيلت لها من قبل...

«أعرف ذلك...»

كانت أماندا على وشك الانهيار، فدنت منها هاريت وضمتها إليها بسرعة وهمست في أذنها: «لا داعي للقلق الآن هيا، بامكانك أن تتصلي بغراهام وتخبريه بالأمر.»

«كلا... كلا... لا أريد التحدث إليه... لقد قلت له كلاماً ملفقاً، أجل... لن يصغي إلي... سوف أكتب له رسالة، أجل، إنها فكرة جيدة... سوف أكتب رسالة.»

هزت هاريت رأسها اشمئزازاً: «ماذا تقصدين بالكلام الملفّق؟»

كانت امارات الندم بادية على وجه أماندا. «كنت غاضبة أشد الغضب، فأخبرته أنني لا أريد رؤيته وانني معجبة بسواه... ولكنني أحبه.»

وإذ بأماندا تجهش بالبكاء ثانية، فتنهدت هاريت وقالت:

«أوه... ماذا فعلت يا أماندا؟»

كان يوم الأحد يوماً حزيناً عقب انتشار الخبر. كانت جوليا مغتاظة طوال فترة قبل الظهر. أما أماندا، فلم تكف

liilas.com/vb3
نور

عن البكاء ولو لبرهة. وهاريت ليست بأفضل حال، فهي تواجه أيضاً مشاكل مستعصية.

خيمّ صمت ثقيل وقت الغداء، ثم انسحب ريموند إلى مكتبه كي يستعيد صوابه على حد قوله. أما هاريت فقامت بنزهة طويلة حتى لا تشعر بطول فترة بعد الظهر، فهي لم تكن تنتظر أن يحين موعد الدرس الخاص لأن تلميذها شفي شفاءً تاماً وبالتالي، لم يعد بحاجة إلى دروس خصوصية.

دق جرس الباب عقب الساعة الثالثة والنصف، فأملت هاريت أن يأتي زائر يجمع شمل العائلة المفتتة ولو لفترة وجيزة.

كان براد بارينغتون آخر شخص توقعت هاريت أن تراه على عتبة دارهم، فصاحت مذهولة: «أوه!»

كان يرتدي بنطالاً أزرق وقميصاً أبيض، وقد بعثر الهواء شعره البني الطويل بعض الشيء، كان يبدو غاية في الوسامة والجاذبية. وقال لها بإيجاز: «جئت كي أعيد لك مسرحيتك.»

لم تقوَ هاريت على منع نفسها من التحديق إليه، وكأنها لا تحتمل أن تدع فرصة النظر إليه تفوتها، فهي تود لو طبع في ذهنها ذكرى أعذب من وداعهما الأخير. لاحظت أن ذقنه مكسو بالشعيرات، فأدركت أن فكرة اللحية ألحت عليه ثانية، وكأنه ينبغي أن يمحو كل أثر قد تركته هاريت في حياته.

فقال مكرراً وهو يناولها الأوراق: «مسرحيتك يا هاريت.»

«من القادم يا عزيزتي؟»

كان الصوت صوت جوليا التي أتت إلى الباب كي ترى من الزائر.

«أوه... هذا أنت يا براد.»

كانت هاريت تشعر بأنها أحسنت فعلاً حينما لم تخبر والدتها عما جرى بينهما، فأضافت هذه الأخيرة: «هلا دخلت لبعض الوقت؟ كنت على وشك أن أحضر الشاي.»

بدا براد متردداً إذ نظر إلى هاريت نظرة قلقة، فابتسمت له وهي تسخر من نفسها لأنها كانت تدرك أنها ترغب في دعوته إلى الدخول على رغم ما حصل بينهما مؤخراً، ثم قالت: «أرجوك يا براد.»

قطب وجهه وقال لها قبل أن يهم بالدخول: «لا أستطيع أن أتأخر.»

اتجهت جوليا إلى المطبخ فيما جلس براد وهاريت في غرفة الجلوس.

قالت له بهدوء مذهل: «لكنك لن تذهب قبل أن تتعرف إلى شقيقتي. لقد قدمت أماندا من أميركا لتمكث هنا لفترة وجيزة.»

فتح براد عينيه وكأنه أراد أن يعبر لها عن دهشته إزاء تقبلها عودة شقيقتها بهذا الهدوء. ما إن همت بالوقوف حتى قال: «هاريت، أنا...»

دخلت أماندا غرفة الجلوس فجأة، فقطع براد كلامه.

«لقد أخبرتني أمي أن عندنا ضيفاً مهماً. إنه الكاتب الشهير براد بارينغتون. كنت أقرأ روايتك الجميلة. لمَ تخبئين هذا الرجل الوسيم يا هاريت؟»

دنت منهما وهي تبتسم وقالت: «أنا أماندا، شقيقة هاريت. هل أخبرتك عني؟ كلا، من دون شك.»

ضحكت ضحكة عالية ثم سارت إلى جانبه ونزلا معاً

liilas.com/vb3 نور

أدراج سلم غرفة الجلوس، فاستدار براد لبرهة ورمق هاريت بنظرة خاطفة غاضبة. كادت هذه الأخيرة أن تضحك. إن دخول أماندا وخروجها يبدوان مثيرين للسخرية بالنسبة لشخص أنضج منها. كانت هاريت على يقين أن أختها لم تكن تحاول أن تسليها رجلاً ثانياً، كل ما في الأمر أن أماندا ألفت هذا التصرف كلما التقت رجلاً، فبات يتعذر عليها تبديله.

لم يخطر على بال هاريت خلال تناول الشاي أن براد قد يعجب بأماندا ولو لبرهة، مع ان شقيقتها كانت تحاول أن تفتن ضيفهم الكريم بكل ما لديها من طرق الإطراء والإطناب، ومع ان الظرف كان ملائماً إلا انه بدا لها واضحاً أن براد لم يكن ليفتن بأية امرأة. كان صامتاً ومتحفظاً، لا يجيب عن أسئلة أماندا المتكررة سوى إجابة وجيزة، حتى أنه أبى أن يجلس بقربها، وآثر أن يجلس على أحد الكراسي.

وسألته أماندا حينما حملت والدتها فناجين الشاي الفارغة إلى المطبخ: «لا أعلم كيف يؤلف الكتاب كل هذه الروايات؟»

أجابها بنبرة جازمة: «لدي خيال خصب.»

نظرت إليه هاريت ظناً منها أنه يهزأ بشقيقتها، لكن وجهه كان خالياً من أية امارة سخرية، وإذ به ينتصب ويختلق عذراً للذهاب، فوقفت هاريت وسألته قبل أن يمضي: «كيف حال بريدجيت؟»

صاحت أماندا وقد أصيبت بخيبة أمل لأنها لم تفلح في جذب براد بارينغتون: «بريدجيت؟ من هي بريدجيت؟»

lilas.com/vb3 نور

«إنها مصيبة.»

كان يشق عليه أن يكتم انزعاجه من أماندا، فقالت هاريت بلطف: «إنها هرة براد الجديدة. لقد وجدنا هررة صغيرة في أسفل منزله. إن السيدة غلاغيرز تعتني بالثلاثة الباقية. هل ترغبين في الاعتناء بأحدها؟»

انثنى أنف أماندا اشمئزازاً وقالت: «آه... لا! أنا أكره الحيوانات الأليفة، بالإضافة إلى انني سأعود إلى أميركا قريباً، أليس كذلك.»

«آمل ذلك. تعال يا براد، سوف أرافقك إلى باب المدخل.»

مضى براد بعدما ودّع أماندا وداعاً جافاً، وسرعان ما التزم الصمت، إلا انه صاح بهاريت حينما بلغا الباب: «كيف يمكنك أن تكوني لطيفة مع هذه الفتاة؟ كنت أود أن أقتلها انتقاماً لما فعلته بك! هي وذاك النذل!»

قالت هاريت مدافعة: «غراهام ليس نذلاً.»

«هل ما زلت مغرمة به يا هاريت؟»

انقبض قلبها لدى سماعها هذا السؤال. ماذا تقول له؟ هل تقول له كلا يا براد، أنا مغرمة بك أنت؟ سوف يرحل حتى إن قالت له ذلك، إلا انه سيشعر بالذنب، ظناً منه أنه ألحق بها الأذى وولدّ التعاسة في قلبها. وهل تقول له، أجل يا براد، أنا ما زلت مغرمة به. هل سيشعر بالاطمئنان إن قالت له ذلك؟ هل سيعود إليها؟ وإلى متى؟ فهي لن تتمكن من كتمان حبها إلى الأبد.

كذبت عليه، فقالت: «لا أدري يا براد. لا أدري حقاً.»

ثم أضافت بصدق: «أظن أنني سأكنّ المودة دائماً لغراهام.»

طال به التحديق إليها، ثم قال: «إنك فتاة فريدة يا هاريت، أجل، فريدة. صدقيني ان قلت لك إنني سعيد لأني نلت صداقتك في يوم من الأيام. أنا آسف لأني تخليت عنها بهذه الطريقة. لقد أتيت اليوم إلى هنا كي أعيد إليك مسرحيتك وكي أخبرك أنني راجع إلى المدينة.»

كاد قلبها يتمزق من شدة الانقباض، فقالت بلهجة ملؤها الحزن: «هل ستبيع ميست ماونتن؟»

لقد كانت مزرعة ميست ماونتن أملها اليتيم، وإلا لن تراه أبداً بعد اليوم.

«كلا... سأحتفظ بها على أنها استثمار، لكنني أيقنت أنني أخطأت بمجيئي إلى هنا. ان سيدني تلائمني أكثر.»

«ولكن... ماذا عن روايتك الجديدة؟»

ابتسم ابتسامة ساخرة وقال: «أظن أنني سأعاود كتابة ما ألفت كتابته، وما يجني لي المال والآن، إلى اللقاء.»

«ضعي مسرحيتك جانباً وانصرفي إلى كتابة مسرحية جديدة مستوحاة من المستقبل وليس من الماضي. الجأي إلى خيالك، أنت تعلمين أن لديك خيالاً خصباً.»

خرج من المنزل، فشعرت بأن روحها انسلخت عن جسمها. راحت تنظر إليه وهو يبتعد، لا تقوى على مناداته ولا على التفوه بأية كلمة تحمله على تبديل رأيه.

كانت عاجزة عن التفكير بأي شيء، أما هو، فأكمل سيره بعيداً... أغلقت الباب وتنهدت تنهداً موجعاً... لم تكن تطيق أن تراه يرحل من غير رجعة.

الفصل الحادي عشر

سرت هاريت لأن اليوم التالي كان يوم عطلة رسمية، فهي لن تضطر إذاً إلى الذهاب إلى المدرسة. لقد نامت نوماً حزيناً، واستفاقت من نومها وهي حزينة لا تشعر بأية رغبة في تعليم تلاميذها المرحين تارة والمرهقين طوراً.

ما لبث الجميع أن غادروا المنزل، فوالدها ذهب لمزاولة عمله، ووالدتها ذهبت وأماندا للتسوق في كوفز هاربور التي يفتح فيها بعض المحلات، على الرغم من العطلة. لقد بدأت الجدة العتيدة في التحضير لقدوم حفيدها الأول.

لم تكن هاريت لتلومها، لأنها كانت تعلم بأن أمها كانت ترغب دائماً في حفيد تدلله وتعتني به، كذلك الأمر بالنسبة إلى أبيها الذي بدا متأثراً حينما علم بالخبر أمس.

عادت هاريت إلى فراشها بعد تناولها طعام الفطور، واستسلمت للنوم حتى انتصف النهار. أرغمت نفسها على النهوض مع أنها كانت لا تزال تشعر بالارهاق، لكنها كانت تدرك أنها ستصاب بصداع أليم إن طال بها النوم، فقررت أن تستحم، لعل المياه الساخنة تنعش جسدها وذهنها الواهيين، وتبلسم جراح قلبها الممزق.

وقفت تحت شلال الماء، فما لبث رذاذه أن امتزج بدموعها المنهمرة على وجنتيها، إلا انها خرجت من الحمام وهي تشعر ببعض الارتياح. ارتدت بنطالاً مائلاً إلى الصفرة، وسترة قديمة لونها أزرق باهت يتماشى والحزن

liilas.com/vb3
نور

العميق الذي كان في قلبها، ثم راحت تسرح شعرها، فعكست لها المرآة صورة وجه جميل وقدّ ممشوق.

حدقت هاريت إلى نفسها طويلاً وقد تولتها الدهشة. هل النساء جميعهن يتبدلن بعدما يذقن طعم الحب؟ هل يصبحن أكثر حسناً وبهاء؟ لم تكن هاريت تدرك الحقيقة، إلا انها كانت على يقين من أن الفتاة التي تعكس المرآة صورتها الآن لم تكن الفتاة نفسها منذ اسبوعين. إنها أجمل وأبهى على رغم يأسها وكآبتها، والفضل يعود لبراد... براد، لن تنساه أبداً، لن تنسى ما فعله من أجلها، أبداً... لقد انتهى كل شيء بينهما، لكن كان هناك بصيص أمل في قلبها المظلم... ربما بدّل رأيه... ربما...

وإذ بجرس الباب يدق، فخفق قلب هاريت.

براد! لا ريب في أنه براد!

خرجت من غرفتها حافية وركضت نحو الباب بسرعة البرق، ثم فتحته وهي مشرقة الوجه، وتمتمت: «براد؟»

استدار الرجل الواقف على العتبة ببطء.

رمشت هاريت بعينيها الواسعتين، فرأت عينين كستنائيتين ترنوان إليها.

«هاريت؟ هذه أنت؟»

«غراهام...»

ابتسم لها ابتسامة عريضة ومشرقة وقال: «يا للدهشة! هذه أنت حقاً!»

أما هي، فحدقت إليه وإلى وجهه الوسيم، إلى شعره البني اللماع وقامته الممشوقة المدثرة بلباس بني أنيق، إلا أنها ما لبثت أن استعادت رباطة جأشها بعدما أيقنت أن

حضوره وابتسامته لم يؤثرا فيها أدنى تأثير. كان يبدو أكثر وسامة من قبل، لكنها لم تأبه لذلك، ولم تشعر حتى بالمودة التي نكرتها لبراد.

ابتسمت له بارتياح إذ ولّد هذا اليقين الطمأنينة في نفسها. لم يخالجها سوى شعور واحد: السرور من أجل أماندا. لقد لحق غراهام بشقيقتها إلى أوستراليا، وهذا خير دليل على هيامه بها وإلا...

قالت له بلطف: «هذه أنا طبعاً. ادخل يا غراهام، ادخل.» جذبته نحو الداخل ونظرت إليه بفتور مرح، وأضافت: «لقد خرجت أماندا للتسوق مع أمي، لكنها لن تتأخر. هل ترغب في فنجان قهوة؟ كنت على وشك أن أحضر بعض القهوة لنفسي.»

كان يحدق إليها وهو فاغر فاهه: «لا يمكن أن أصدق... كم تغيرت يا هاريت... شعرك... وجهك... يا للدهشة! انظري إلى نفسك!»

أمسك بيديها فجاة وتفرس فيها تفرساً مدهشاً: «رائعة! إنك أكثر من رائعة!»

راح ينظر إليها من رأسها حتى أخمص قدميها، فأفلتت هاريت منه وضحكت كأنما تهزأ بإطرائه، واتجهت إلى المطبخ. شرعت تحادثه من غير كلفة، لكنها كانت مضطربة الذهن، ومرتبكة. كانت ترفض رغبة غراهام بها، وكانت تشمئز منها، فتساءلت كيف بوسعها أن تتغيّر هذا التغير مع مرور السنين؟

كان غراهام بعيداً عنها فيما كانت تحضر القهوة، فأخذت تسأله عن عمله وعن رحلته في الطائرة وهو قادم

liilas.com/vb3 نور

من كاليفورنيا، وعن رحلته القصيرة إلى كوفز هاربور هذا الصباح. كان غراهام يبدو مسروراً وهو يتكلم عن نفسه ويخبرها بأنه استقل سيارة أجرة في المطار حتى يصل إلى هنا، وانه دفع للسائق مبلغاً باهظاً، فشعرت هاريت بأنه كان يحاول أن يبهرها بنجاحه، ثم قال لها أخيراً: «إذاً يا هاريت، من هو هذا الرجل.»

باغتها سؤاله لبرهة، لكن سرعان ما استعادت رباطة جأشها ونظرت إليه وابتسمت له ابتسامة ساخرة: «أنت تسأل عن الرجل يا غراهام؟ قد يكون هناك رجال...»

سرت هاريت لرؤية الدهشة المرتسمة على وجهه، فتابعت تقول: «اسمه براد، براد باريغتون.»

لم تكن لتخبره أن كل شيء انتهى بينهما، أما غراهام ففتح فاهه وقال: «هل تقصدين الكاتب الشهير؟»

تظاهرت هاريت بعدم المبالاة وقالت: «أجل، إنه يؤلف الكتب من أجل القوت. هل تعرفه؟»

«أوه... كلا... لا أعرفه شخصياً... لكنه ذائع الصيت... لا أظن أنه الرجل المناسب لفتاة مثلك.»

كتمت حنقها وتكلفت الهدوء وقالت: «هل تظن ذلك فعلاً يا غراهام؟ أنت لا تعرف أي نوع من الفتيات أنا لأنك لم ترني منذ سنوات، بالإضافة إلى ذلك، لا يحق لك أن تدينني، لأن حياتك الشخصية لا تخلو من العيوب.»

احمرت وجنتا غراهام حياءً، فأطرق رأسه وسمّر عينيه في فنجان القهوة، ثم تمتم قائلاً: «لقد أخبرتك أماندا إذاً عن تلك الفتاة...»

أغضبها جوابه هذا: ليست خيانته الأخيرة النقطة

السوداء الوحيدة في حياته، فهل نسي الفعل الشنيع الذي فعله بها؟

«لقد أخبرتني أنا، ولم تخبر والدينا، أي جدّي طفلك!»

رفع رأسه فجأة وجحظت عيناه دهشة.

تنهدت هاريت وكأنها أنزلت حملاً ثقيلاً عن كاهلها، فما من أحد غيرها قادر على ارشاد غراهام إلى الحقيقة، فتابعت تقول بهدوء: «أجل يا غراهام، إن أماندا تنتظر طفلاً، ولسوء الحظ، إنها تخشى ألا تصدق أنت ذلك.»

أخذ الفنجان بين يديه وارتشف ما تبقى فيه من قهوة.

صرّت هاريت أسنانها وقالت بكل اقتناع: «إن أماندا تحبك، عليك أن تصدق ذلك يا غراهام. لا يعي المرء ما يتفوه به من كلام حينما يشعر بالأذى، وقد ألحقت الأذى بأماندا حينما خرجت مع تلك الفتاة.»

أومأ غراهام برأسه وقال: «أجل، أعرف ذلك...»

«ألا ترغب في الطفل؟»

قالت هاريت ذلك وهي تشعر بانكماش في قلبها. يا له من سؤال! ألم يكن هذا المغفل يعلم كم كان محظوظاً لقدرته على الانجاب!

أما غراهام فاقر بفظاظة: «أظن أن لا بأس في أن نرزق طفلاً، لكن لم يخطر على بالي أبداً أن أماندا قادرة على الاضطلاع بدور الأم.»

«هل تعلم أنها تخشى أن تكف عن حبها إن تغير شكلها قليلاً؟ إلا انك تحبها حقاً، أليس كذلك؟»

أطرق رأسه ونظر إلى الطاولة طويلاً، ثم رفع ناظريه وتنهد وقال: «أظن ذلك، مع أنني أشك في ذلك أحياناً...»

lilas.com/vb3 نور

«عليك إذاً أن تتخذ قرارك بسرعة لأن أماندا على وشك الوصول، ولن أدعك تؤذي شقيقتي كما أذيتني. إلى متى سوف تظل تتلاعب بمشاعر الآخرين يا غراهام؟»

انتصبت هاريت بغضب، فكاد الكرسي أن يقع أرضاً، ورمقت غراهام بنظرة حانقة، ثم أمسكت الفنجانين الفارغين ووضعتهما في الحوض، وقالت: «أنا بحاجة إلى هواء نقي.»

خرجت من المطبخ واجتازت غرفة الجلوس حتى بلغت الشرفة المطلة على الوادي. وقفت متكئة على الدرابزين وتنفست تنفساً متقطعاً وهي تلوم نفسها على اغتياظها.

دنا منها غراهام ووضع يديه على كتفيها وكأنه يلتمس منها الاعتذار، وتمتم: «أنا آسف يا هاريت. إنك على حق، فأنا أتصرف تصرفاً أنانياً وغير مسؤول. سوف أتزوج أماندا، وأنا أحبها فعلاً.»

أجابته مدمدمة: «أنا لا أشك في أنك تحبها لشكلها، ولكن هل تحبها لشخصها، لعقلها؟»

«عقلها؟»

ضحكت هاريت ضحكة ساخرة وقالت: «لديها عقل ذكي يا غراهام، وعليك أن تغذيه بالفكر كما تغذي عقول طلابك، وسوف تلمس النتيجة بنفسك.»

كان يتفرس فيها وهي تتكلم وكأنه اكتشف معجزة. ما ان أنهت كلامها حتى افترت شفتاه الجذابتان عن بسمة ساخرة وقال: «أظن أنني ألمس نتيجة ممتازة بين يدي الآن يا هاريت، أنا...»

فقاطعته بفظاظة: «إياك أن تتفوه بكلمة! إياك!»

تنهد وقال: «حسناً، لكن لا يمكنك أن تمنعيني من الاعجاب بك. لقد أصبحت فاتنة يا هاريت.» ثم انحنى ووضع قبلة رقيقة على جبينها.

«من الواضح أنني وصلت في وقت غير مناسب.»

كان الصوت صوتاً ساخراً وكانت الكلمات كلمات لاذعة.

جفلت هاريت وأفلتت من غراهام فرأت براد ينظر إليها بعينين ساخرتين وهو واقف أمام باب الشرفة مكتف اليدين. كان يبدو بحالة يرثى لها، تماماً كما بدا لها حينما رأته لأول مرة. كان شعره مبعثراً وعيناه محمرتين، وذقنه مكسوة بالشعيرات وبنطاله وقميصه الزرقاوان مغضنين.

غصت وقد تسارعت نبضات قلبها لوصوله المفاجيء وتمتمت: «براد...»

تباً! ماذا ظن براد؟

رمقت غراهام بنظرة غاضبة. لا ريب في أن براد لم يعرفه، فبدت هاريت وكأنها لم تنتظر طويلاً كي تتعرف إلى رجل آخر.

كانت تظن بأن تصرفها هذا لن يزعجه، فهذا هو مفهومه للحياة والحب، إلا ان امارات الاغتياظ كانت تتجلى بوضوح على وجهه.

دنت منه وقالت: «لا تسيء الظن يا براد. أقدم لك غراهام بانكس العائد من أميركا. إنه...»

اختار غراهام أسوأ لحظة كي يدنو منهما ويمد يده ويبتسم ابتسامة عريضة: «سيد بارينغتون، لقد أخبرتني هاريت عنك. سعدت بمعرفتك.»

لم يحفل براد بيد غراهام الممدودة إليه، بل نظر إلى

lilas.com/vb3
نور

هاريت وقال بحدة: «أتعلمين يا هاريت، ظننت أنك تحافظين على صوابك، ولكن ها إنك تدعين هذا السافل يعود إليك بالسهولة نفسها التي تخلى بها عنك. قد أكون رجلاً فاسقاً، لكنني اؤمن بأن على المرء أن يشعر بعذاب أخيه المرء. أظن أن شعوري وعاطفتي مثيران للسخرية، فخذ هذا إذاً يا غراهام.»

وإذ ببراد يسدي ضربة قوية على معدة غراهام الذي كان يقف مذهولاً.

لو لم تكن هاريت لا تزال تحت أثر الصدمة، لكانت ضحكت لرؤية غراهام وهو جاحظ العينين وممسكاً بمعدته بيديه ومنهاراً على المقعد الخشبي.

قال براد لهاريت: «أنني لم أضربه على حنكه، لأنني ظننت أنك تفضلينه بأسنانه اللؤلؤية! إلى اللقاء يا هاريت، لن أتمنى لك حظاً سعيداً، فإن جننت وعدت إلى هذا السافل، فأنت لا تستحقين السعادة. آه على فكرة، لا تنسي أن تأتي بتلك الهرة المشؤومة إلى هنا، فأنا لن أصطحبها معي إلى سيدني لأنني لا أطيق اقتناء الحيوانات الأليفة. لا تزعجي نفسك بمرافقتي إلى الخارج، فأنا أعرف الطريق، وباب المدخل مفتوح بالإضافة إلى أن السيد الوقور يبدو بحاجة إلى العناية.»

مضى قدماً وترك هاريت فاغرة الفاه، فانٌ غراهام وهو يحاول جاهداً أن يقف ويديه تمسكان معدته.»

استدارت هاريت لتعين غراهام على الوقوف وقالت بصوت مرتجف: «أنا آسفة يا غراهام، حاولت أن أشرح له الأمر، لكنه لم يصغِ إليّ.»

«بوسعك أن تكرري له الشرح.»

تنهد بألم ثم انتصب وصاح بها: «ماذا تفعلين هنا يا هاريت؟ الحقي به! اخبريه أنني لن أنافسه على الفوز بقلبك.»

«ولكن... ولكن... أنت لم تفهم... لقد قطعنا علاقتنا ببعضنا. إنه لا يحبني... إنه...»

ضحك غراهام ضحكة وجيزة آلمت معدته. «لا تقولي لي كلاماً تافهاً كهذا يا هاريت. من الواضح أنه متيم بك، ولا ألومه على ذلك.»

نظر إليها نظرة ثاقبة وقال: «وأنت، ألا تحبينه؟»

بدت مذهولة، فتنهد غراهام ثانية وتمتم بسخرية: «من الواضح أنك تحبينه. هيا يا هاريت، هل ستدعين رجلاً آخر يفلت منك؟»

كانت هاريت تحدق به والأفكار تتقاذفها، فتدمر كل ظنونها السابقة وتعيد إليها أروع الآمال.

كان غراهام يظن أن براد يحبها، بل كان مقتنعاً من أنه يحبها... ولكن ماذا إن...

وإذ بما جرى يرتسم صورة حية في ذهنها، وإذ بكلمات براد تترجع صدى مؤلماً في قلبها. لم يقل لها يوماً إنه يحبها، لم يقل لها ذلك قط. ولكن... ألم يتصرف الآن تصرف الحبيب الحسود؟

لقد تغيّر براد حتى قبل أن يأتي للعيش في فاليز إند، وكان بوسع هاريت أن تدرك ذلك الآن. كان براد يرمي إلى تبديد حزنه وإلى التخلي عن صديقاته التافهات وإلى تأليف روايات قيمة. لقد كان قلبه مستعداً للانفتاح أمام حب

liilas.com/vb3
نور

جديد... قلبه الحزين... وبما أن براد يحب حباً عميقاً، فكان مستعداً للتضحية. لقد تخلى عنها ورحل لأنه يحبها.

آه... ليتها تكون تلك الحقيقة...

طفرت الدموع من عينيها، لكنها ما لبثت أن كتمتها. لا، لم يكن الوقت مؤاتاً للدموع، إنه لم يحن بعد.

وسألت غراهام للمرة الأخيرة: «هل تظن فعلاً أنه يحبني؟»

أجابها قائلاً: «أقسم لك بحياتي. لو ظن بطلك أنني تماديت معك، لما كنت لا أزال على قيد الحياة!»

ابتسمت هاريت ابتسامة مشرقة، وقالت له وهي تهرول نحو الداخل كي تجلب مفاتيح سيارتها: «أحبك يا غراهام!»

قال لها مازحاً: «انتبهي! قد يسمعك أحد ويظن أنك تعنين كلامك هذا!»

الفصل الثاني عشر

لم يسمع براد هدير سيارتها، أو أنه لم يخرج ليرى من الآتي.

أبت هاريت أن تغوص في التكهنات، على الرغم من الألم الذي كانت تشعر به في معدتها. ما إن أوقفت السيارة حتى ترجلت منها وصعدت أدراج السلم المؤدي إلى الشرفة حيث كانت الهرة البيضاء نائمة على الكرسي الهزاز، ثم تمتمت وهي تهم بالطرق على باب المدخل المفتوح:

«يسرني أن أرى كائناً مرتاحاً في الجوار.» إلا انها ترددت بعدما كادت أن تلمس الخشب، وعزمت على الدخول من غير سابق إنذار.

كان براد في غرفة الجلوس يكدس الكتب في أحد الصناديق ويناجي نفسه بأفظع الشتائم. لم يلمح هاريت وهي واقفة في الممر تراقبه.

كان غضبه دليلاً على عاطفته، عاطفته العميقة.

«براد...»

رفع رأسه، فخانه وجهه إذ أظهر تعاسته، لكنه ما لبث أن استحال قناعاً صلباً، فقال لها ببرودة: «إن أتيت إلى هنا ظناً بأنني ساقدم لك اعتذاري، فإنك تهدرين وقتك.»

أدهشته هاريت حينما هزت بكتفيها ودخلت الغرفة وكأنها لم تحفل بكلامه.

«أنا متأكدة من أن غراهام سيستعيد عافيته، على فكرة...»

liilas.com/vb3
نور

رمقها براد بنظرة حادة وقال: «هل تتوقعين حقاً أن أصغي إليك فيما أنت تئنين على عودة حبيبك الضال؟ خذي الهرة وارحلي! إنها على الشرفة.» ثم رمى أحد الكتب في الصندوق.

راح قلبها يخفق بشدة إذ أن غيرة براد أفعمته أملاً، لكنها كانت تدرك أن عليها المواربة. لقد عزمت آنفاً أن تعترف له بحبها وأن تقول له إنها ظنت أنه يحبها أيضاً، لكنها أدركت الآن فجأة أن عليها المواربة. فإن كان يحبها فعلاً، وإن كان قد تصرف هذا التصرف من جراء هذا الحب، فهو سينكر إنكاراً تاماً، وهذا خير دليل على تضحيته الرائعة.

لذا، قررت هاريت الصادقة ولأول مرة في حياتها أن تؤدي دور المرأة المحتالة. إن والدتها وأماندا ليستا سوى مبتدئتين بالنسبة إليها، فقالت وهي تتظاهر بالقلق: «إصغ إلي ولو لدقيقة واحدة، فأنا بحاجة إلى نصيحتك... بشأن غراهام...»

رأته يعض على فكه، فسألها وهو يصرّ أسنانه: «ما باله؟»

سارت إلى الأمام وترددت قبل أن تتجه ببطء نحو الموقد وتتكيء عليه وتحدق إلى الأسفل، ثم استدارت لتواجه براد. تصرفت هذا التصرف حتى تلفت انتباهه، وإذ نظرت إليه، لاحظت أن عيني براد كانتا شاخصتين إليها، فشرعت تقول بحذر: «لم نتطرق إلى الموضوع أمس، لكن أماندا تركت غراهام، وهذا هو سبب عودتها إلى المنزل.»

«لا تمزحي.»

«كنت لوحدي في المنزل حينما وصل غراهام اليوم، فسنحت لنا الفرصة أن نتعاتب و... حسناً... و...»

«وماذا؟»

«لقد أعجب بي، بشخصيتي الجديدة.»

قال براد وهو يرمي كتاباً آخر في الصندوق: «شخصيتك الجديدة!»

أضافت وهي تفتح عينيها كدليل على براءتها: «إنه يريد أن أعود إليه، وأنا لا أدري ماذا أفعل...»

شعرت لبرهة بأن براد على وشك الانفجار، فقال لها: «هل تتوقعين أنني سأنصحك؟ من تظنيني يا فتاة؟»

دنت منه ووقفت إلى جانبه وقالت: «كنت على وشك أن أرفض، لكن قبلته على جبيني...»

استدار براد نحوها وصاح: «قبلته؟»

أجابته وهي تتكلف البراءة: «أجل، لقد قبلني، إذاً ما هو رأيك؟»

تفرس فيها وهو يمسك الكتب وكأنها سلاح بين يديه، فشعرت هاريت لبرهة بأنه سيضربها. «ما رأيي؟ أظن أن غراهام رجل سافل وانك فتاة مغفلة!»

«ألا تظن أنه ينبغي عليّ أن أعود إليه؟»

ردد كلماتها قائلاً: «تعودين إليه؟ أتيت إلى هنا كي تسأليني إن كان ينبغي عليك أن تعودي إليه؟ كنت أظن أن لديك ذرة حياء يا هاريت!»

«لم أكن أظن أنك ستمانع، ولمَ تمانع؟ إنك عائد إلى سيدني، أليس كذلك؟ أشك في أنك ستعيش هناك وحيداً، وأنا آخذ العبر من رواياتك، فأنا لم أعد مغرمة بغراهام. لقد

liilas.com/vb3 نور

أدركت ذلك ما إن وصل اليوم، لكنه رجل في غاية الجاذبية، والرجال العازبون غير متوفرين في فاليز إند. كنت أفضل أن تكون أنت معي، لكنك لن تمكث هنا...»

ارتسمت على وجهه امارات الحزن والخذل، فاستدار نحوها وقال: «اسمعي يا هاريت، لا تتسرعي. إن كنت تحتاجين إلي، فعودي إلى سيدني وزاولي مهنة التعليم هناك، وسيتسنى لنا أن...»

«كلا يا براد، لا أرغب في أن أبقى معلقة بك، فأنت لا تؤمن بالالتزام العاطفي...»

ابتسم بسمة لطيفة وواثقة، ثم مدّ يده ووضعها على وجهها، وقال لها ببطء وهو مطرق الرأس: «لقد ثبت لي عقب ما جرى أنك لا تحبينني.»

تمتمت: «أنا لم أكن أقصد نفسي.»

بردت يداه، ثم رفع رأسه قليلاً كي ينظر إليها، فقالت له بهدوء: «أنا أعرف أنك تحبني.»

تنهد بعمق وأفلت يده كأنما لدغها عقرب لكنه ما لبث أن استعاد رباطة جأشه، فابتعد عنها وأدار لها وجهاً ساخراً: «ما الذي جعلك تظنين ذلك؟»

«أرجوك لا تنكر ذلك، فأنا أحبك أيضاً، أحبك لدرجة أنني أفضل الموت على فقدانك.»

اختنق صوتها في حلقها، فبدت غاصة: «أنا أعرف أنك تتصرف تصرفاً شهماً بادعائك أنك لا تحبني، فأنت ترغب في أن أبقى حرة وأن ألتقي برجل آخر قادر على الانجاب، ولكن براد... حبيبي... هناك أمور أهم من الأطفال... أهم بكثير...»

كان براد يحدق إليها والحزن والتساؤل يمتزجان في عينيه: «هاريت... حبيبتي... أنت لا تفهمين الأمر... أنت على حق في أنني أحبك، أجل، أحبك بجنون... ولكن...»

فقالت وقد خفق قلبها: «هل تحبني حقاً؟»

«أجل، ولكن...»

فقاطعته بعزم وقالت: «لا تقل لكن، إننا نحب بعضنا بعضاً ولا شيء سيفرقنا ثانية، لا شيء... سوف نكون سعيدين في تأليف روايتك الجديدة، سوف أقوم بالأبحاث اللازمة وأعيد قراءة مسودتك... سوف أعود إلى سيدني إن كنت ترغب في ذلك... ولكن، أرجوك، لا تتخلَ عني ثانية إن كنت تحبني حقاً...»

غص صوتها وهامت عيناها، إلا انها تابعت تقول: «لن أنجب أطفالاً إن تخليت عني، لقد منحتني ما يعجز أي رجل آخر عن منحي إياه. أنت هو الرجل الذي أحب والذي أريد والذي أحتاج إليه.»

صاح بها: «إنك رائعة يا هاريت!»

لكنه قطب وجهه فجأة وقال: «ماذا عن غراهام العزيز؟»

بدت هاريت مذعورة، فضحك براد ضحكة عريضة وقال: «كنت تكذبين أيتها المحتالة الصغيرة، أليس كذلك؟»

«أجل، لقد عاد غراهام إلى أماندا وليس إليّ أنا. كنت أحاول أن أثير غيرتك، وأن أثير غيظك لأنك أخفيت حبك عني.»

«أنت لا تدركين بماذا شعرت حينما رأيته معك. وددت لو أمزقه إرباً!»

ضحكت هاريت عالياً وقالت: «لقد تمالكت نفسك جيداً، أليس كذلك؟ مسكين غراهام! ألم ترَ وجهه؟»

lilas.com/vb3 نور

«مسكين غراهام! إنه الشيء الوحيد الذي لم تكذبي بشانه. هل كان يرغب في العودة إليك؟»

«طبعاً لا، إنه مغرم بأماندا. قل لي الآن، لمَ أتيت إلى منزلي؟ لم تات كي تطلب مني أن آخذ الهرة فقط، أليس كذلك؟»

«كلا...»

جلس على أحد الكراسي المزدوجة أجلسها بقربه، ثم شرع يقول: «لقد يئست حينما رأيتك مع شقيقتك الشريرة وحينما لمست لطفك وطيبة قلبك. أعجبت بك إعجاباً شديداً، وتمنيت لو تشاركينني حياتي. لم يغفُ لي جفن ليلة أمس وأنا أفكر فيك وفي حبك، حتى أنني نهضت من فراشي ورحت أقوم باتصالات هاتفية عدة.»

«اتصالات هاتفية؟ لماذا؟»

«أجل، اتصالات هاتفية! انني ثري، لكن علي أن أؤلف رواية أخرى حتى أتمكن من تسديد فاتورة الهاتف. هل تعلمين كم من الصعب الاتصال بالأطباء الاختصاصيين في يوم العطلة؟»

«لا ريب في أنك تجيد الكتابة أكثر مما تحسن الكلام! أنا لا أفهمك!»

ابتسم وقال: «أنا أتكلم على العملية التي خضعت لها سابقاً. هل تصدقين؟ لقد أكد لي أحد الأطباء الماهرين أنه بامكاني الإنجاب خلال فترة وجيزة إن اتبعت علاجاً محدداً. أترين يا هاريت؟ سوف نرزق طفلاً إن شئنا. هذا ما كنت أود أن أقوله لك اليوم، ولكن جن جنوني حينما رأيتك مع ذلك الرجل...»

لم تقوَ هاريت على كتمان البهجة العارمة التي ملأت قلبها. إنه أروع خبر يمكن أن يزفه إليها. أرادت أن تقول شيئاً، أن تعبر عن شعورها، لكنها لم تستطع. كل ما كان بوسعها أن تفعله هو أن تضع رأسها على كتف براد.

كم كانت تحب هذا الرجل! إنه حاميها، إنه أميرها، إنه فتى أحلامها!

«براد...»

رفعت إليه عينين قلقتين، فقال وهو مقطب الوجه: «ما بالك؟»

«أخشى أن تكون مجبراً على الزواج بي، فانت تعلم أنني فتاة رجعية، ألا تذكر؟»

التمع بريق شرير في عينيه وقال: «الزواج! لمَ التسرع؟ أعني أن المعجبين بي لن يسروا إن علموا أن براد بارينغتون تزوج.» ثم ضحك ضحكة هستيرية حينما أخذت تتمتم، وصاح: «كفى! كفى! سأتزوجك...»

«ألم أقل لك يا ريموند انهما قد يغرمان ببعضهما؟»

قالت جوليا ذلك وهي تبتسم بسمة الاعتداد بالنفس.

«لقد قلت لك منذ البدء أن براد بارينغتون هو العريس الأنسب لابنتنا هاريت.»

نظر براد إلى هاريت التي كانت جالسة بقربه، فهمست هذه الأخيرة في أذنه قائلة: «لم تكن على علم بذلك، لأنك أتيت إلى العشاء بمظهر يرثى له.»

قالت جوليا وقد فرغ صبرها: «علام تتهامسان؟»

liilas.com/vb3
نور

«على تحضيرات الزواج يا أمي.»

فقالت لهما جوليا: «هناك شخص واحد لن يدهشه هذا الخبر، السيدة غلاغيرز. كانت تعمل في حديقتها فيما كنا عائدتين من كوفز هاربور، فتوقفت كي أتحدث إليها ظناً مني بأنها تشعر بالوحدة، لكنها قالت لي انها منشغلة بتأليف كتاب عن الهررة وإنك أنت من عرض عليها الفكرة يا براد. لم تكف عن اخباري كم كنتما لطيفين معها، وكم كنتما تبدوان مغرمين ببعضكما بعضاً. كان في امكانك أن توضحي لنا ذلك يا هاريت، بدل من أن تؤكدي لنا أنك وبراد مجرد صديقين، ألا توافقني الرأي يا ريموند؟»

ابتسم ريموند لزوجته ابتسامة لطيفة وقال: «إن أبناء هذا الجيل يتصرفون تصرفاً مختلفاً عن تصرفنا. فكل شيء تغير. لحسن الحظ فهما سيتزوجان.»

قاطعته جوليا: «ريموند!»

فتابع الأب كلامه قائلاً: «انظري إلى غراهام وأماندا، وفرحتهما الكبيرة لأنهما ينتظران مولوداً.»

قال براد وهو يرمق هاريت بنظرة ملؤها اللوم: «ينتظران مولوداً؟ لقد نسيت اخباري ذلك.»

«ظننت أنه قرار حكيم في ذاك الوقت.»

«أظن أنك أنت التي حثيت غراهام وأماندا على السفر إلى أميركا قبل أن نأتي إلى هنا.»

«ظننت أن ذلك أفضل.»

نظرت هاريت حولها فرأت والديها يغادران الغرفة ويتركانهما لوحدهما، فقال لها براد: «وأنا أظن أنك تكثرين الكلام.»

فتمتمت هاريت: «أخبرني متى أغرمت بي حقاً.»

فتنهد وقال: «من الصعب أن أقول لك ذلك. لقد شعرت بالاضطراب وأنت تساعدينني على ترتيب كتبي، سيما حينما قلت لي، وأنا أيضاً.»

نظرت إليه وهي تطرف عينيها دهشاً، وتذكرت حينما شعرت بالخوف لما ظنت أنه مصاب بنوبة قلبية.

«كانت هيلين معتادة على قول هذا الكلام، فنظرت وبي شعور أنني سأراها، فلم يقع بصري إلا عليك يا هاريت، فشعرت فجأة بانقباض في معدتي. فرحت أفكر في أنك لست فتاة تافهة، بل إنك فتاة حساسة، فماذا إن أغرمت بها؟ والأسوأ من ذلك، ماذا إن أغرمت بي؟ كنت أعلم أنه لا ينبغي علي تطوير علاقتنا، لكنني اكتشفت في ما بعد أنني كنت أخدع نفسي. إلا أنني لعبت بالنار، أليس كذلك يا حبيبتي؟»

«هل تعني أنني أذكرك بزوجتك؟»

«كلا، أبداً. أنت لا تشبهين هيلين إلا بكلامك. لقد كانت فتاة لطيفة وقد أحببتها، لقد كانت مجرد فتاة، وقد كنت مجرد فتى... ربما هذا هو سبب عدم تقبلي وفاتها، لأنني رحت أتصرف كالمجنون، تخليت عن أهلي وعاملت النساء أسوأ معاملة، وكأنني أنتقم من عالم لا تطاق فيه الحياة.»

قالت له هاريت مطمئنة: «لم تكن براد الحقيقي آنذاك، فلم يتجل براد الحقيقي إلا لي، براد اللطيف، الكريم، الحنون...»

«هذا لأنني أغرمت بك يا هاريت وبصدقك، وبذكائك، وبلطفك، وبجمالك...»

lilas.com/vb3 نور

«بجمالي؟»

«ألا توافقيني الرأي؟»

«لا... لطالما كنت أظن نفسي دميمة إلى أن جئت وكشفت النقاب عن جمالي...»

فهمس براد في أذنيها: «لقد كان جمالك ظاهراً منذ البدء يا هاريت، كان ظاهراً في عينيك. هل تسمحين لي بأن أطرح عليك السؤال نفسه؟ متى أغرمت بي؟»

«أظن أنني أغرمت بك مذ شاهدتك على التلفزيون، لكن غرامي لم ينمُ إلا حينما رأيتك أنت شخصياً.»

وقفا واتجها إلى باب المدخل، فصاح براد قائلاً: «لقد دعوت هاريت إلى العشاء، لا تنتظروها طويلاً!»

فابتسمت جوليا وقالت: «حسناً، تمتعا بوقتكما. آه، هاريت، هلا كلمتني لبرهة؟»

رفعت هاريت حاجبها وهي تنظر إلى براد، إلا أنها تبعت أمها إلى الممر.

انحنت جوليا وهمست في أذن هاريت: «أنا على يقين من أنك فتاة راشدة يا هاريت، لكن لدي كلام أقوله لك، أعني... غالباً ما كنت... ساذجة بعض الشيء... في ما يتعلق بالرجال... أما في ما يتعلق ببراد، فهو صعب المراس... أنت تعرفين يا هاريت...»

كان يشق على هاريت أن تكتم ضحكتها، فقالت وهي تحاول أن تتمالك نفسها: «أشكرك يا أمي، لكن أظن أنني قادرة على وضع براد عند حده، فهو لطيف وحساس ولا يفعل إلا ما أرغب فيه أنا.»

ابتسمت جوليا بسمة ارتياح وقالت: «لقد طمأنتني.

أوه... أظن أن والدك يرغب أيضاً في التحدث إليك. إنه في غرفة المكتب، سوف أبقى مع براد ريثما تعودين.»

فتحت هاريت باب غرفة مكتب أبيها وبها فضول جامح، فهي لا تذكر آخر مرة طلب فيها والدها التحدث إليها.

رفع ريموند ناظريه وقال: «آه، يا هاريت، ادخلي يا عزيزتي.»

«لا يسعني البقاء يا أبي، فأنا خارجة مع براد لتناول العشاء.»

«عشاء الاحتفاء، أليس كذلك؟ إنها فكرة رائعة. لن أؤخرك، أردت أن أقول لك فقط، واقسمي بأبيك أنك لن تخبري ذلك لأماندا أو لوالدتك... إنك الأوفر حظاً!» ابتسم لها ابتسامة عريضة ووقف، ثم دنا منها وضمها إليه وأضاف: «لقد كنت قلقاً بشأنك يا عزيزتي، قلقاً جداً. أنا لم أحسن قط فهم النساء، لكنني أقر بأنك توصلت إلى حل مشاكلك بنفسك وهذا أمر رائع! رائع!»

غادرت هاريت الغرفة ورجعت إلى الدار مذهولة، فسألها براد وهو مقطب الوجه: «هل أنت بخير؟»

ابتسمت ابتسامة مشرقة وأجابت: «بألف خير.»

دنت من والدتها وقبلتها ثم نظرت إلى براد.

«هل أنت مستعدة؟»

«دائماً.»

خرجت معه وهي تفكر بأن سعادتهما ستكتمل إن استطاع براد أن يتصالح مع والديه. لقد كان ولدهما الوحيد باستثناء أختيه المتزوجتين، وقد أدركت أن فراقه عنهما دام طويلاً.

lilas.com/vb3 نور

دعاها براد إلى الجلوس ثم اتجه نحو مقعده ورمقها بنظرة قلقة: «ماذا يجول في ذهنك يا هاريت؟ هل من مشكلة؟»

«كلا يا حبيبي، كلا.»

«أوه... غالباً ما تكون هناك مشكلة حينما تنادينني حبيبي.»

«كنت أفكر لو انك تتصل... بوالديك حينما نذهب إلى منزلك.»

رفع حاجبيه عالياً ثم تنهد تنهد الرضوخ وقال: «كنت أعرف ذلك.»

فسألته ببراءة: «عرفت ماذا؟»

«عرفت مذ رأيتك للمرة الأولى أنك فتاة ملحة!»

أخذت الهرة الموضوعة على المقعد الخلفي تموء بألم.

فصاح براد: «كدت أن أصاب بنوبة قلبية! لقد نسيت أننا جلبناها معنا إلى هنا.»

استدارت هاريت وأخذت الهرة الصغيرة بين يديها ووضعتها على حضنها: «لم يكن بوسعنا أن نتركها وحيدة في منزلك، أليس كذلك؟»

راحت الهرة تخرخر في حضن هاريت، فصاح براد: «لا تتصوري أن هذه الهرة ستنام معنا في غرفتنا!»

«طبعاً لا يا حبيبي.»

هز براد برأسه وأدار المحرك وقال: «لقد قلت لك انني أشعر أن هناك مشكلة حينما تنادينني يا حبيبي.»

«إنك تجعلني أشعر بأنني فتاة متسلطة.»

«همم...»

نظر إليها بطرف عينه، فشعرت هاريت بأن قلبها غرق في صدرها، فقالت: «بمَ تفكر؟»

قال لها بالبراءة نفسها التي تظاهرت بها منذ قليل: «أحاول أن أتذكر عنوان مسرحية شكسبير المفضلة لدي.»

«ترويض المرأة المتسلطة؟»

«لا!»

«ماذا إذاً؟»

«كما تشائين.»

«كما تشائين. ماذا تعني؟»

«أنا أعلم ماذا تشائين.»

ما ان انطلقت السيارة حتى شرعا يضحكان معاً...

تمت

liilas.com/vb3
نور